الخيال آخر من يغادر

(كتاب جماعي)

إعداد/د. مجدي صالح

1. أحمد جاسم محمد – نداء رقم 4 – العراق
2. أحمد فاروق عموري – حبر الدخيل – السويد
3. أحمد رمضان محمد – المفتاح – مصر
4. رانيا عبدالكريم عبدالله – قفاز – اليمن
5. رنا كمال العسلي – نعود كل يوم – سوريا
6. سحر حسب الله عبد – أحبني جيفارا – العراق
7. صلاح هلال حنفي – ثلاثة أبواب وباب آخر – مصر
8. طارق ابراهيم الشناوي – مهما كان لنا أساؤوا – مصر
9. عادل الأمين – صخرة سيزيف – السودان
10. عادل غنيم – الشجرة البشرية – مصر
11. عبد الوهاب علي عبد الوهاب – غبار الأمس – السعودية
12. عبير محمد كيلاني – صيحة – مصر
13. ملاك سعيد – عائلة لا تعرف النور – اليمن
14. نهاد جمال الدين – وجوه للبيع – مصر
15. نعيمة القبيط – ليليان – المغرب
16. هيثم همامون – الخيوط تحترق – المغرب

دار نشر رقمنة الكتاب العربي
Stockholm

الخيال آخر من يغادر

كتاب جماعي

2025 الطبعة الأولى
9789180260404:ISBN
الإيداع القانوني لدى المكتبة الملكية السويدية: 32-21 2025
الناشر: رقمنة الكتاب العربي- ستوكهولم
السويد، فاستراء جوتالند
البريد الإلكتروني:
arabiskabok@hotmail.com

تصميم الغلاف: أ. سحر عبد المقصود
تنسيق: أ. شيماء سامي

© جميع الحقوق محفوظة لدى دار نشر رقمنة الكتاب العربي- ستوكهولم، لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه، أو تقليده، أو تخزينه في نطاق إستعادة المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن مسبق من الناشر.

إن جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن رأي الكاتب ولا تعبر بالضرورة عن رأي الناشر. والمؤلف هو المسؤول عن المحتوى

لجنة تحكيم المسابقة:

د. مجدي صالح رئيس لجنة المسابقة

أ. مرمر محمد عضو لحنة التحكيم

د. محمد سعيد المخلافي، مراجعة عامة

مقدمة

في عالم يزداد صخبا وضجيجا، وحيث تتسارع الأشياء بلا معنى، يبقى الخيال ممرا سحريا يعبر منه الكاتب إلى الحقيقة المُرة والمستحيل العذب، ويخطو عليه القارئ باحثا بين تجليات الخيال المتناثرة عن انعكاس لما فقده في الواقع أو لم يجرؤ يوما على إعلانه.

من هنا وُلد هذا الكتاب الجماعي كمحاولة جمالية وفكرية لاجتماع رؤى مختلفة ومدارس سردية متعددة، تجمعها حركة خيال متنامية وهاجس واحد: مقاومة التلاشي عبر الحكاية. وهو المعنى الذي احتضنته دار نشر رقمنة الكتاب العربي بحس مسؤول، وطموح عال، وقناعة راسخة بأن الأدب الجماعي ضرورة لتوسيع مساحة الإبداع، ولتمكين كُتاب من خلفيات مختلفة أن يلتقوا على أرضية رحبة واحدة، لتجريب أدواتهم، ولإيصال أصواتهم إلى القارئ.

هذا المنجز يمثل في حقيقة أمره عرضا لمعالم يُستدل بها على الذات وجميع ما حولها. كل نص هنا يفتح نافذة جديدة يشرف منها القارئ على مدلول الكتابة كفعل مقاومة ضد الغياب الذهني وعدم الاكتراث. فبين سطور هذه المجموعة تتجاور الحكايات كنجوم في فضاء واحد، لكل منها ضوءها الخاص، لكنها جميعا تتضافر لتؤكد أن الأدب ما زال قادرا على مسامرة الروح الإنسانية، لا يغادرها ما دامت آخر جذوة خيال لا تزال تشع.

وختاما، إن هذه الصفحات ما وُجدت إلا من أجلكم أيها القراء الأعزاء. فهي تذكرة سفر مفتوحة للارتحال بين الكلمات، حيث تمتزج الدهشة بالدراية، ويتجاور الخيال باليقظة... واسمحوا لأنفسكم عندها أن تبتسموا، أن تتأملوا، وربما أن تتألموا قليلا، فذلك هو غاية الأدب: أن يجعلنا أكثر إنسانية.

معكم يظل الخيال حيا، ومع قراءاتكم يظل حاضرا، وآخر من يغادر.

د. محمد سعيد المخلافي

نائب مدير دار رقمنة الكتاب العربي-ستوكهولم

عائلة لا تعرف النور (من حكايات الجدة الصينية)

الكاتبة: ملاك سعيد

كان بيت عائلة "شيزو" كتلة من الكتمان المعماري الشحيح، مائلا عن قصد ليبتعد عن الحي وساكنيه، لا بفعل زلزال أو خللٍ هندسي كما قد يظن البعض. أبوابه ونوافذه دائمة الإغلاق، ولا شمس تُرى من نوافذه المغطّاة بكرتونٍ أسود قديم. حتى الجيران – أولئك الفضوليين بطبعهم – توقفوا عن التساؤل: "هل هناك أحد في الداخل؟"، وصاروا يتداولون نكتة: "إذا شممتَ رائحة سمكٍ متعفن، فاعلم أنّ بيت شيزو ما زال مأهولا". في الداخل، كان يقبع "موروي شيزو"، شاب نحيل في أوائل الثلاثين، بأنفٍ مرتفع نسبيا يضفي عليه غرابة، فلا يُعرف إن كان حفيدا لامرأةٍ صينية أم شبحا عربيا مستوردا من مكان آخر. رغم ملامحه الآسيوية المبهمة، كانت له سمات يلحظها الجميع: اختباؤه خلف الآخرين في المواجهات، ترديد عبارة "كما تريدون" في كل نقاش، مسح عرقه العصبي بِكُم قميصه العتيق المتّسخ عند توجيه أي سؤال له، حتى لو كان عن الوقت! كما يسهُل تمييزه برائحة السمك المتعفن التي تلازمه، وبقميصه الوحيد المهترئ، وحذائه الذي يئن في كل خطوةٍ، ويشكو بصوتٍ مسموع من بقائه القسري في الخدمة، رغم تجاوزه سن التقاعد بخمسة أعوام على الأقل. هذا هو موروي، الذي كان يحيط به: أمه "لاوناي": سبعينية تعتقد نفسها صبية عشرينية، تطل بملابس صاخبة وخواتم بلاستيكية تلمع كأنها رموز سحر، وتصر على مناداتها بـ"الآنسة" بدلا من "الجدة". تذرف الدموع كتمساح حين تُنتقد

مظاهر تضخمها النرجسي المزمن، الذي لا يشفيه شيء. وحتى مع إدراكها لتجاعيدها الغائرة وبشاعة منظرها وقوامها، إلا أنهالا تكفّ – في نوبات جنون العظمة المتواصلة – عن الحلم بالظهور كعارضة أزياء عالمية. وكانت تلازمها أمنية واحدة: ارتداء فستان أحمر مع حذاء رياضي زهري. لكن كل شيء يتطلب مالا، وهي لا تنفق حتى أنفاسها بسهولة. "وانغ شيزو": أخ يُغيّر لهجته حسب محفظة مُحدّثه، مستعد لبيع أمه (الشمطاء المتصابية) في سوق المستعمل مقابل كوب شاي. لازمته المفضلة: "نحن أهل الحسب والنسب"، بينما يسرق أوراق التواليت وقطع الصابون من الحمامات العامة. يذكر في كل مناسبة أن جدّه كان "مسؤولا رفيعا" (والحقيقة أنه كان عميلا مخلصا للاستعمار)."لين شياو فن": خال في الستينات، يُخفي عينيه وراء نظارات ضخمة كأنها حاجز ضد عالم الرجال. يتحدث بتلعثمٍ وصوتٍ رخو، وينهي كلامه عادة بضحكة خفيفة مبتورة لا تدري أهي ضحكة أنثى أم ذكر تخلّى عن الرجولة. وفي ظهيرة تشبه المساء، جلس أفراد هذه العائلة حول طاولة غير مستوية بسبب علبة سردين فارغة تدعم أحد زواياها. وضع في منتصفها وعاء حساء شفاف، يمكنك رؤية قاعه بوضوح، وعلى سطحه طفت قطعة سمك هزيلة كأنها تسبح محاولة الهرب من ذلك المكان الموبوء بالبخل والتعالي. السمكة التعيسة نفسها تُستخدم في كل مرة، ثم تُعاد إلى ثلاجة لا تزورها الكهرباء إلا ساعة واحدة كل أربعٍ وعشرين ساعة، بينما يكون حساء اليوم التالي في انتظارها لتضفي له نكهة السمك الميت من جديد.(طقوس الطهي في ذلك البيت تنتمي إلى فن الاقتصاد الكئيب، لا فن الطهو المذهل).قال الأخ ساخرا، وهو يقلب ملعقته

في الحساء كمن ينقّب عن ذهب: "أقسم أن هذه السمكة كانت معنا منذ القرن الماضي... هل يُعقل أن يُحنط السمك؟ "أجاب الخال بجدية ناعمة وهو ينفخ على ملعقته رغم برودة الحساء: "هي ليست سمكة، إنها بركة العائلة. تُبارك الوجبات، وتطيل عمر الثلاجة". صاحت الأم وهي تضع طبقة جديدة من أحمر الشفاه:" من يعرف؟ قد نبيع وصفة الحساء ونصبح ملوكا". موروي، كما العادة كان صامتا. يأكل ببطء، وينظر إلى الوعاء كأنه روزنامة سجين. يعلم أن الحديث عن الأكل سيقود إلى الحديث عن المال، والمال إلى الحديث عن الشح، والشح إلى تلك النظرة الحارقة من أمه الحيزبون: "ماذا فعلتَ بوقتك اليوم؟ هل أضعتَ فرصة لتوفير المال؟ "كانوا يتعاملون مع النقود كغازٍ سام: يخزنونه، يمنعون تسربه. كل شيء عندهم يُستخدم حتى الانهيار: الأثاث، الملابس، حتى الكلمات والعلاقات الاجتماعية. كان هناك هاتف أرضي متهالك، منسيٌّ في أحد الأركان ككل القيم النبيلة في ذلك البيت الضنين، وقد رنّ مرة قبل عام، ولم يُجِب أحد. قالت الأم حينها بتعجرفٍ لا يُطاق: "أظنها مجلة نسائية شهيرة تريد وضع صورتي على الغلاف... وأنا لا أرغب في ذلك". لم يقلقوا من كونها ربما مكالمة من القدر لسداد فاتورة روحية متأخرة. لكن منذ ذلك اليوم، لم ينم الأخ جيدا. يخشى أن تكون من أحفاد المناضلين الذين وشى بهم جدّه أيام الاستعمار. وهكذا، ظل بيت آل "شيزو" محافظا على زهده غير الديني، تحفظ حيطانه صدى النقود وهي تُعد، لا وهي تُصرف. الصرف يُعد خيانة، والبخل ديانة متوارثة وهواء يُتنفَّس. ومجرد ذكر كلمة "الإسراف" يُعتبر جريمة أخلاقية لا تُغتفر. كما أخذوا تعهدا خطيا من الماء ألا يشربه غريب، وأن يُعاد غليه حتى

يتبخر احترامه. تمرّ عليهم الأيام، كل يوم يشبه الآخر: رتيب، بخيل، كأن الزمن قرر ألا يُنفق عليهم لحظة تغيير. لكن في تلك الظهيرة، بعد غداء السمك المجمد عاطفيا، قالت الأم بصوت مبحوح وهي تتحسس وجهها المتشقق: "تبا لقناع الطين والكركم، لقد أفسدا بشرتي الغضة الجميلة". لم يرد الابنان. يعلمان أن الجملة التالية ستكون عن المال. وكانت كذلك. ضحك الخال، الذي كان جالسا يُلمع أظافره بقطعة قطن عليها أثر صبغة شعر شقراء، وقال: "لكن أسعار مساحيق التجميل مُبالغ فيها. حتى الشمس نفسها لو أرادت العناية بوجهها، لطلبت قرضا". انطلقت ضحكة الأم، حادة كالسكاكين، قبل أن تتحول إلى سُعال جاف، ثم وقفت العجوز بغتة وعيناها تشعان بفكرة مجنونة (في قاموسهم، تعني: خطة اقتصادية عبقرية)، وقالت ببطء ثقيل، مشيرة إلى السقف:" لِمَ لا يتزوج موروي بالشمس؟ "صمت الجميع للحظات. نظر إليها الأخ وانغ وقال باهتمام بالغ: "نعم... وسنطلب مهرها طاقة شمسية، ونبيعها بالجملة". ثم أضاف: "الشمس ساذجة. تحترق من أجل الآخرين دون مقابل. مثالية جدا لكي تستغلها عائلتنا العريقة". قال الخال وهو يصفف شعره بسبابته المبلولة بلعابه: "أظن أن الشمس بحاجة إلى من يُجيد استغلال الشعاع، مثلك يا موروي، يا ابن أختي

أحبّني جيفارا

الكاتب/ة: سحر حسب الله عبد

لم يكن يشبهه في شيء، إلا في تلك اللمعة العنيدة في عينيه حين يتكلّم عن العدل، وفي الطريقة التي يدسُّ بها يده في جيب معطفه البالي، كأنه يُخفي ثورة.

كنتُ أراه كلّ صباح عند تقاطع الحديقة، يحمل كيس الكتب بكتفٍ واحدة، ويمشي كما لو أن الطريق تُصلّي تحت قدميه. لا يعرف أنني أراقبه، ولا يعرف أنني أحببته منذ قرأ بصوتٍ خفيض في إحدى الندوات جملة قالها جيفارا: "إنني أحسُّ على وجهي كلّ صفعة تُوجّه إلى مظلوم في هذه الدنيا."

حين التفت نحوي ذات مساء وسألني، فجأة، عن رأيي في الحبّ، أجبته:

– الحبُّ خيانة صامتة لكل ما فينا من عقل.

ضحك وقال:

– إذن أنتِ خائنة رائعة، لأنك تبدين عاقلة جدًا.

بدأنا نلتقي بلا موعد، ونفترق بلا وداع. كنّا نلتقي في الشوارع كأننا اتفاق سري بين المدينة والذاكرة. كنتُ أقول له:

– في أيّ معركة تموت الليلة؟

فيجيبني:

– في معركة النجاة منكِ.

ذات مساءٍ بارد، قال لي بجدّية:

– هل تعرفين لماذا أحببتكِ؟

قلت:

– لا، ولستُ بحاجة لأعرف.

فقال:

– لأنكِ الوحيدة التي لم تسأليني عن أحلامي. كأنكِ تعرفين أنها تموت كلّ صباح وتُبعث من رمادها كلّ مساء.

لم يكن يحبّ التصوير، لكنه أهداني صورةً صغيرة له مرسومة بالفحم، وكتب على ظهرها:

"لو كان جيفارا حيًا لأحبكِ أيضًا، لكنني سبقته."

رحل فجأة. قيل إنه سافر. قيل إنه اختفى. قيل إنه انضمّ إلى حركة سرية لا اسم لها.

ترك لي كتبه، وصورته، ودفترًا أسود وجدته على المقعد نفسه الذي اعتدنا الجلوس عليه.

كانت فيه صفحات ممزّقة، وعبارة واحدة كُتبت بخطٍ مضطرب:

"إنها ليست الثورة، بل أنتِ من أشعلتِ كلّ شيء."

كلما مرّ الشتاء تذكّرت رائحة معطفه، ويده التي تحمل الورد كما تُمسك بندقية.

تذكّرتُ عينيه حين قال:

– من أحبّ ثائرة، عاش منفىً أبديًّا بين الحنين والحرية.

المفتاح

إضاءة خافتة تتسلل لغرفة شبه معتمة، الرطوبة تتمكن من طلاء جدرانها المتهالكة، تتناثر بها بعض الأغراض البسيطة بشكل غير مرتب، سريرين خشبيين بالكاد يتسع كل منهم لشخص واحد، وصوت قطرات ماء تتساقط ببطء من صنبور مياه واحدة تلو الأخرى لتكسر حالة الهدوء الكامنة في الأركان، والكثير من الكتب القديمة وصندوق قديم تمكنت العناكب من بناء خيوطها بينه وبين أحد الجدران معلنة عدم فتحه منذ زمن بعيد، وصورة لعجوز ذو لحية بيضاء ومكتب خشبي صغير يقوم بدوره الأصلي كمكتب ويقوم بعمل إضافي كحامل للطعام حيث تعلوه الكتب وبعض الخبز والجبن الأبيض يستيقظ حاتم من نومه مفزوعاً بصوت مرتجف وأنفاس عالية إنه هو إنه هو كابوس كل ليلة لقد سئمت من ذاك الكابوس، يتمالك أنفاسه ويقف ببطء ويذهب ببصره إلى صورة العجوز ويتحدث إليه معاتباً جدي لا أملك شيء لك معي سوى تلك الصورة القديمة والكثير من ذكريات لا تغيب عن خاطري وإسمي الذي أعطاه لي أبي تيمناً بك، لقد كنا دائماً على وفاق فقد كنت لي الجد الحنون الناصح وكنت لك الحفيد البار المُطيع، ورغم حالة الفقر المدقع والغرفة الخانقة كنا نعيش معاً في سلام بقلوب هادئة، تَشاركنا عشرات بل مئات الأحاديث حول التاريخ والفن والفلسفة ودائماً لم نكن بحاجة للكثير من المال طالما لدينا الكتب التي عوضتنا عما ينقصنا ويشهد الله أنني أحببتك وأتألم

حزناً على فراقك، فلماذا تفعل بي هذا كل يوم يشرب الكثير من الماء ثم يلتقط بعض الخبز والجبن المجففة ويجلس أمام إحدى الكتب ويكمل قراءتها يظل يقرأ ويقرأ ناسياً الوقت حتى يحل عليه الليل وهو مستمر بالقراءة حتى يجد نفسه يغفو على أحد صفحات الكتاب ويستغرق في النوم، حاتم بصوت مرتجف وأنفاس عالية: إنه هو إنه هو اااااه ما هذا؟ ما الذي يحدث لي؟ ماذا يريد هذا الكابوس مني؟ وماذا تريد أن تفعل بي يا جدي؟ ما معنى أن أجد نفسي محبوس داخل قفص حديدي وأمامي ملك ذو مهابة يجلس على عرشه وحراس تحاصرني من خارج القفص بنظرات حادة ووجوه عدائية متحفزة، إنه شئ لم أرى مثله من قبل، أسوار عالية طائر النسر ومكتوب عليها كلمات باللغة العربية لكن غير واضحة ورايات ترفرف عليها نفس الكلمات التي لا أستطيع قراءتها، خيول على ظهورها فرسان تحمل أجسادهم الكثير من الندوب التي تروي سنين من حروب قد خلت ووجوههم توحي برغبة لخوض حروب قادمة،

نظر لي الملك وحدثني في حزم بصوت غاضب، أجب على سؤالي أخبرني أين هو وإلا أمرت بقطع رأسك، تحدقت عيناي وشحب وجهي وتسارعت دقات قلبي وتشوش عقلي، حدثت نفسي، أين ماذا؟ عن ماذا يتحدث هذا الرجل المهيب؟ عاود عليّ السؤال بنبرة أكثر غلظة، سوف أسألك للمرة الأخير إما أن تجيبني وتنال حريتك، أو تخادع وتنال سيف يمر داخل رقبتك، أين المفتاح الذي أخبرك جدك بمكانه؟ يعم الصمت المكان والملك يترقب إجابتي وأنا في داخلي معركة كبرى من الأسئلة الممزوجة بالخوف، هل أسأله عن أي مفتاح

يتحدث؟ ربما يظن أنني أتلاعب ويزداد غضب ويأمر بقتلي، هل أظل صامتاً ولكن إلى متى؟ أنا الأن في موقف ضعف بوجه شاحب وجسد هزيل مكبل بالأغلال ولا أملك القرار، قطع أفكاري بصوته الرخيم وكأنه كان داخل عقلي قائلا نحن دائماً نملك القرار الذي يغير كل شئ وأنت من تقرر الأن، أجبته بصوت مرتعد وأعين متوسلة لا أعرف عن أي مفتاح تتحدث صدقني لم يخبرني جدي شئ بشأن هذا المفتاح، تظهر حدة الغضب على ملامح الملك مشيراً إلى أحد الحراس أن يفتح القفص الحديدي ويضعوني على منصة الإعدام، وسمعت أصوات الأبواق تعلو في الأرجاء معلنة إعدام شخص لا يعرف ما خطيئته، ورأيت جموع الناس أتت من كل درب بفعل أصوات الأبواق تقف مُشَكلة نصف دائرة من حولي وأعينهم جميعاً تتجه لي، ورأيت نصل السيف يعكس أشعة الشمس التي لن أراها مرة أخرى مستعد ليأخذ وجهته باتجاهي تلك الثواني مرت حياتي من أمامي كلمح البصر أهكذا أموت؟ أموت من أجل ذنب لم أرتكبه من أجل شئ لا أعلمه ماذا أخفيت عني يا جدي وما أهمية هذا المفتاح الذي أموت من أجله؟ بينما يقترب حد السيف ليتمكن مني أرى وسط الجموع وجه أحفظ ملامح شخص أعلم أنه من دمي تتسع حدقة عيناي وأقولها صارخاً جدي أنقذي يا جدي أخبره أنني لا أعلم عن أي مفتاح يتحدث، بينما يقترب حد السيف من رقبتي يعم صمت رهيب بالمكان وأسمع صوت جدي، أحضر المفتاح يا حاتم اذهب إلى الأرض العتيقة القوية تجده، الأرض التي هي محور الشرق وتحبس الشمس بداخلها الأرض التي هي جارة الأخت الصغيرة المباركة، كعادة كل صباح يستيقظ حاتم مفزوعاً مردداً نفس الكلمات،

لابد أن هناك سر ما وما يحدث لي كل يوم ليس صدفة ولكن ماذا وراء هذا المفتاح وأين تلك الأرض وما علاقة جدي بالأمر، أتذكر أنه أثناء حديثنا ذات مرة أخبرني أنه كان من ضمن قوات الجيش المصري المشاركة في حرب فلسطين سنة 1948 رفقة العديد من القوات العربية ضد القوات اليهودية التي كانت تعتمد في عتادها على دعم التاج البريطاني وأنه كان عائد من هناك محمل بحزن لم يشعر بمثله من قبل، أخبرني أنه كان يعتقد أن أكثر حزن يمكن أن يشعر به الإنسان هو فقدان شخص عزيز عليه ليكتشف بعد الهزيمة أن الشعور بفقدان الأرض أشد حزناً وشعور الهزيمة أثقل من جبال الأرض مجتمعة، أثناء العودة كان رفقته بعض الجنود الذين سلكوا طريق مصر أثناء عودتهم إلى ديارهم وكان من بينهم شاب يمني يدعى خالد كان أقربهم له وكانوا أثناء العودة إما أن يتحدثوا عن مرارة الهزيمة أو يظلوا صامتين في حزن، توقفوا بالطريق حيث كان في انتظار كل الجنود إحدى قبائل سيناء اسمها قبيلة الترابين وما أن ترجلوا من السيارات وجدوا رجل كبير يظهر على وجهه شموخ الجبال وحكمة الصحراء التي ينتمي إليها إنه الشيخ صالح شيخ القبيلة الذي استقبلهم في منزله ولم يرمق إليهم رمقة لوم واحدة بل استقبلهم وأكرمهم كعادة أهل الصحراء مع ضيوفهم، جلسوا معه وقد حل الصمت على أفواههم والحزن على وجوههم وأخذوا يتناولون الطعام الذي يعينهم على طريق العودة وما أن انتهوا من الطعام وقدم لهم الشيخ بعض القهوة العربية بنفسه حتى قال لهم لا بأس ستعودون وثمة يوم نفرح به جميعاً باسترداد الأرض نحن أهل إيمان ونضال ولكم في البطل عمر المختار وغيره عبرة وإن لم يكتب لنا أن نفعلها نحن فسيكون أبنائنا من بعدنا

وأبنائهم من بعدهم حتى تتحرر الأرض ولا تنسوا أنها فقط معركة والحرب الكبرى آتيه لا محالة، حلت عليهم السكينة بعد كلام الشيخ صالح الذي رأوا فيه احتضان الأب وحكمة القائد، حان وقت الرحيل لاستكمال طريق العودة إلى الديار وقبل انصرافهم قالوا للشيخ نريد أن نترك معك أمانة إن لم نعد لنأخذها فسوف نرسل من هو جدير بها نظر لهم الشيخ مترقب حتى نزع كل منهم خيط من عنقه يتدلى في أسفله مفتاح وما أن رأى الشيخ المفتاحان ابتسم وفهم أن فلسطينيان أعطوا لهم مفاتيح بيوتهم رغبةً منهم في عودتهم مرة أخرى وأنه هو الأخر يحمل مفتاح مثلهم تماماً كان أخذه من ضيف فلسطيني قد استقبله وأكرمه مسبقاً وأخبرهم أن الأمانة محفوظة وسوف أوصي أبنائي وأحفادي بتسليمها لكم أو لمن ترسلونه، أصوات طرق على الباب تقطع أفكاره، يذهب وهو في حال يرثى لها ويفتح الباب ليجد أمامه صاحب ذاك الوجه البشوش قائلاً وهو يدفعه بخفة أفسح لي الطريق كي أستريح من صعود هذا السلم المرتفع، لطالما وددت أن آتي إليك كل يوم ولكن هذا السلم يقف عائقاً أمام رغبتي، لا أعرف كم مرة يجب أن أطلب منك أن تنتقل إلى أحد غرف الطابق الأرضي في أحد مبان الحي، أنا أتناول الطعام قبل صعود السلم وما أن أصعد حتى أجوع مرة أخرى ولا أجد لديك سوى الخبز وبعض الجبن، متى أجد بعض اللحم والمرق فأذوب فيهم دون توقف، حاتم مقاطعاً اصمت يا إسماعيل انا اليوم لست بحال يتحمل ثرثرتك التي لا تنتهي، إسماعيل ضاحكاً ومن متى وأنت تتحمل ثرثرتي ومن متى استطعت أنا أن أكف عنها، يتابع إسماعيل تبدو متعب وكأنك صعدت على هذا السلم ألف مرة، أخبرني ماذا حل بك

ولما أراك متعرق وجسدك ينتفض بهذا الشكل، أرجوك لا تخبرني أنه نفس الحلم، يومئ حاتم برأسه إيجاباً في حزن وأعين حائرة، اسمع يا حاتم أنا لن أتركك على هذا الحال لن أتركك فريسة لهذا الكابوس يتمكن منك يوم بعد يوم، يا حاتم أنت صديقي الوحيد وأعلم أنه ليس لك أحد غيري بعد رحيل جدك اصغ لي سوف نذهب لتلك الأرض ونبحث عن المفتاح لعلنا نصل إلى إجابة أو ينتهى الكابوس عند بلوغنا المفتاح، ينظر إليه حاتم بدهشة متسائلاً ماذا تقول إنه مجرد كابوس ولا أعلم إن كان هذا المفتاح الذي حدثني جدي عنه هو المقصود أم لا،

مياه زرقاء متلألئة وشاطئ ذو رمال صفراء زاهية تحت أشعة الشمس ونسمات الهواء لا تكف عن مداعبة كل شئ من أشجار وطيور تغرد في كل الأرجاء حتى الجبال والصخور تتمايل بينهم وتداعب وجه خالد الذي يجلس على شاطئ مدينة الحديدة باليمن حيث ينتمي ويأخذ نصيبه من الاستمتاع بالشاطئ لعلمه أنه مفارقه قريباً، يسمع صوت مناد بإسمه من بعيد هيا يا خالد إننا جاهزون هيا، ينهض خالد ويلقي نظرات لا يعرف إن كانت ستكون الأخيرة أم أنه سيعود مرة أخرى إلى حيث ينتمي، يبدأ طريق النضال مع الرفاق من شاطئ مدينة الحديدة إلى الأراضي المقدسة ليشاركوا في الحرب رفقة إخوانهم، اتحدوا جميعاً وخاضوا المعارك ببسالة يحاربون الأعداء بقلوب مؤمنة وأيادٍ ثابتة وأعين ثاقبة وكلما تكتلت عليهم الأعداء كلما ازدادوا قوة وإصرار على النصر، ظلوا يقاتلوا حتى بدأت تنفذ الذخيرة منهم واحد تلو الأخر وكثيراً منهم من لقى حتفه وقليلاً من نجا ومن بين الناجين كان خالد الذي أصيب في قدمه ولم يشعر بها حتى وجد شاب يحمله ويضع ذراعه على كتفه ليساعده على النهوض

وسط وابل من طلقات الرصاص وبحر من الدماء وظلوا يركضوا حتى تواروا عن أعين الأعداء بمعجزة ليجدوا أنفسهم رفقة شابان فلسطينيان حالهم كحال الجميع في الحرب يكملوا النضال ببسالة وتنفذ كل ذخيرتهم حتى أصبح سلاحهم الحجارة ولم يكن في أيديهم شيء يضاهي عتاد العدو، ويعلمون بانسحاب القوات العربية ويودع حاتم وخالد رفاقهم الفلسطينيان بعد أن يأخذوا منهم مفاتيح بيوتهم،
يجلس قاسم واضعاً رأسه على يد جده الباردة والدموع تركض من عينيه حيث يعلم أنها اللحظات الأخيرة، يعلم أنها نهاية مقاتل ذهب وهو شاب إلى الأرض المقدسة للدفاع عنها، نهاية بطله وملهمه الأول والأخير، ينظر إليه جده ويطلب منه أن يقترب كي يخبره بأمر وسريعاً يضع قاسم أذنه بالقرب من فم جده لأنه يعلم أن الكلمة التي ستخرج الأن لن يستطيع تكرارها، تحدث يا جدي أنا أسمعك، يحدثه جده قائلاً أحضر المفتاح يا حاتم اذهب إلى الأرض العتيقة القوية تجده، الأرض التي هي محور الشرق وتحبس الشمس بداخلها الأرض التي هي جارة الأخت الصغيرة المباركة، لتكون تلك كلماته الأخيرة ويضمه قاسم إلى صدره ضمة الوداع،

بعد تفكير عميق وخوف من تكرار الكابوس يقرر حاتم موافقة إسماعيل على الذهاب إلى الأرض التي بها المفتاح والتي يعلم أنه إذا كان تلك هو المفتاح المقصود فسوف يكون عليه الذهاب إلى سيناء، يهم حاتم مع إسماعيل بعد أن أحضر كل منهم أغراضه ويتجهوا إلى محطة الحافلات ويأخذوا الحافلة المتجهة إلى سيناء، في الوقت نفسه كان قاسم وصل بحراً إلى ميناء السويس ومان أن خرج من الميناء استقل الحافلة المتجه إلى

سيناء،

بينما كان حاتم وإسماعيل يغلب عليهم النوم حتى أتى إلى حاتم نفس الكابوس بكل تفاصيله ولكن يوجد اختلاف هذه المرة فقد رأى حاتم الكتابة الموجود على الأسوار والرايات بوضوح وقرأها، لا تخف يا فتى لن يؤذيك السيف ولن يطل رقبتك لا تخف أنا صلاح الدين موحد الجيوش وناصر بيت المقدس الشريف، يفتح حاتم عيناه دون فزع هذه المرة متشوقاً للوصول حتى يرى ما إذا كان سيجد المفتاح، تصل بهم الحافلة إلى المحطة ويترجلوا منها حاملين أمتعتهم ويصطدم بهم شاب دون قصد ويدور بينهم حديث ويعلموا أنه يمني ويصير تعارف بينهم ويخبر كل منهم بوجهته ويذهبوا معاً في نفس الاتجاه دون أن يتوقعون المصادفة، حتى يسأل كل منهم الأخر عن وجهته بالتحديد ويعلم كل منهم أن الأخر يبحث عن منزل الشيخ صالح من قبيلة الترابين يبتسم كل منهم للأخر ويفهموا أنهم أتوا للبحث عن نفس الشيء، بينما يتركهم إسماعيل للتجول بالمكان الساحر يذهبوا سوياً حتى يصلوا إلى منزل الشيخ صالح بعد سؤال أحد المارة الذي أخبرهم أن الشيخ صالح مات من زمن بعيد والوحيد الباقِ في منزله هو حفيده سالم الذي واستقبلهم ورحب بهم كترحاب جده لأجدادهم وأخبرهم سالم أنه يعلم كل شئ وأن الأمانة محفوظة حتى الأن، يطلب منهم الجلوس ويذهب إلى صندوق خشبي قديم يفتح الصندوق ليجدوا به ثلاث مفاتيح ليعلموا أنهم قد وصلوا إلى المكان الصحيح، يجلس ثلاثتهم حول الصندوق ويمد كل منهم يده ممسكاً بمفتاح منهم وينظرون إلى بعضهم البعض نظرات تعلن وجهتهم القادمة.

وجوه قديمة للبيع

الكاتب/ة: د. نهاد إبراهيم

علبة كاملة من المسحوق الفاخر لم تشفع ولم تنفع فى تنظيف ملابسي، وانتشال جثث القميص والمعطف والجورب من مستنقعات الوحلة الثقيلة. لم أضرب زميلي فى النادي، حق الله أنني أنا الذي استمتعت بسيول الضرب المبرح على كل صنف ولون.. معركة همجية عظيمة طويلة العمر. لقد أصبحت مسخرة الجميع ولا فخر!

فى العادة تمر إهانة المواطنين على خير، بمنطق أن الماضي عندما يفارق الحياة لا يُبعث من جديد مهما حدث، حتى لو امتلكنا مفاتيح السحر من خير موروث أهل بلاد المغرب الخبراء.. أو يمنطق أن المسامح كريم وعفا الله عما سلف وخلافه من موروث الشعب الكريم الغلبان.. لكن مع النجوم القليلين الرافضين، بصمة الوجع لا تنمحي من صفحة القلب إلى الأبد!

رشتني أمي العصبية باستمرار بخرطوم غضبها فوق رأسي المرتبك، وبكل عزيمتها العاصفة المتنمرة راحت تدق بكفيها على أبواب خزانة ملابسي الصامتة فى حالها داخل غرفتي المسكينة. شجعني والدي السَمِح نبراس التسامح على الاستمرار مهما توالت العقبات. لا يوجد صانع ألعاب أفضل مني فى فريق الأشبال تحت ستة عشر عامًا لكرة السلة فى النادي الكبير. كلهم

أكدوا لي فى كلمتين ضرورة نسيان كل شيء والتركيز فى الملعب، لكن لم يقل لي أحد كيف سأتجرأ على دخول النادي من الأساس؟! كيف سأواجه الدنيا وزملائى في الفريق والفرق المنافسة، والخبر أكيد طار علي الإنترنت وتلقفته جحور فضائح وسائل التواصل الاجتماعي بكل اشتياق، بفضل طابور العاطلين التافهين القابعين خلفها أسرع من البرق؟؟!! كيف أمنع أحدًا من ضربي بعد الآن؟؟؟!!! أنا لست مشاغبًا.. لست كاذبًا.. المسألة كلها معركة كراسي طائرة على كوب عصير جوافة مع صديق عرفته منذ أسبوع واحد فقط. لقد فاجأني بغدر الضرب فى ذروة ما كنت غارقًا فى ضحكاتي! هل الحل هو الامتناع عن منتحات العصائر بأكملها طوال حياتي؟ هل يمكن تجنب الأكواب بذكرياتها المؤلمة والتركيز على ثمرة الفاكهة ذاتها، التى تغزو أسناني بفتافيتها المدغدغة؟؟ هل أتعامل مع الموقف من جذوره، ولا أسير وحيدًا طوال العمر وأحتمي بالمرافقين؟؟؟

هل أعتزل اللعبة قبل أن أبدأ؟؟؟؟

وحدي أسندت رأسي علي سور الشباك. كرة السلة على يميني تراقبني ولا أراها. مع آذان الفجر اقترب جدي من خلفي. مياه الوضوء تسربت منه لتروي الأرض كالعادة. يده على كتفي أراحتني. بدون كلمة واحدة تركني. عدت من المدرسة محطمًا بعدما نلت نصيبي المستحق من سياط السخرية المخيفة، لأجد تذكرة سيرك ملقاة على فراشي فوق ملابس النوم. العرض الساعة السادسة يعني نفس وقت التمرين.. هل أغامر بالذهاب إلي الملعب من حيث المبدأ؟!!

فى الخامسة بدأت أنتظر والدي، لكننى فوجئت أن جدي هو صاحب الدعوة الرسمية للفرجة على الشقاوة بإذن كبير العائلة ليشاركني فى اللعبة الحلوة. مرت كل فقرات السيرك المبهجة وأنا أصفق كدمية بلهاء يضربها الرضيع على رأسها ليجرب حظه فى الضحك.. كالعادة جدي لا ينطق. وصلنا إلى فقرة المهرج فوضع جدي يده على كتفي. أراحتني يده ثم أقلقتني لأنني لم أفهم الرسالة.. لأول مرة أشعر بفداحة مأزق الشخص الجاهل، وهو يتأمل رقم الأتوبيس الذى ينتظره بالساعات، ومنتهي طموحه أن تمطر السماء متطوعين ذوق لينقذونه من مصيره المظلم! انتهي العرض وعدنا سيرًا على الأقدام كما جئنا سيرًا على الأقدام.

فجأة توقف جدي وسألني:

<- هل تعرف شكل المهرج؟

- لا

- هل تعرف كم قناعا يضعه فوق وجهه؟؟

- لا

- هل ضحكت عليه؟

- نعم

- لماذا؟

- لأنه مسخرة..

- لا.. لأنه يفهم أصول اللعبة بدقة!>

نسير وأدردش. نسير وأفضفض. نسير وأستطرد. نسير وأتلعثم. نسير وأصمت. قبل بلوغ بيتنا بخطوات قليلة توقف جدي فجأة. توقفت أنا أيضا احترامًا وحيرة. رشقني جدي بنظرة طويلة تحتاج إلي مترجم ضليع.. هل هي نظرة حنان صريحة بوجه حقيقي، أم نظرة احتقار متنكرة تخفيها أقنعة الحنان؟؟

فجأة أمسك جدي بأذني اليمني وجذبني ناحيته حتي التصقت به وهمس داخلها:

- لماذا منحت ثقتك لغريب؟

- وهل حسن الظن ذنب؟!

- لقد سمحت له باقتحام وجهك الحقيقي المسالم من أول مرة فاستهان بك واستضعفك.

- كان يحملني من الخلف يحاول اختطاف الكوب مني!

- تركته يحمل جسدك فعرف وزنك.

- كنا نضحك!

- كنت تضحك وحدك.

- جدي..

- الضحك الزائد يرفع الحذر ويميت القلب.

- هل أعود وأنتقم؟

- الغضب الزائد نار تحت الماء.

- هل أسامحه؟

- التسامح الزائد غدر قادم وندم مؤجل.

- لا أفهم..

- العلم نور!

يُطلقون عليّ الآن فى عالم رجال الأعمال "الغول ذو الوجه الخشبي". والخشب أنواع حسب العميل وحسب الصفقة. كل الساعات التى أقضيها مصلوبًا على كرسي المكتب، كالسلطان المحكوم عليه بالعرش، أعوضها عند العودة إلي بيتنا باللعب مع أحفادي وافتراش الأرض. نحارب مع بعضنا عدونا المجهول بالسيوف المطاطية والمسدسات الفوسفورية، ونختمها ببرامج ألعاب الكمبيوتر والذكاء الاصطناعي تحت مظلة ضحكاتنا المدوية، التي تُقلق منام الطيور فى أكواخ القطب الجنوبي المثلج مثل عصير الجوافة..

علمني جدي الدرس فعلمته لأولادي.

لكن لم يخطر على بالي أبدًا أن ابني البكري سيشتريه ويتشربه إلى هذا الحد.. في الصباح يدير أعمالي وفى جرابه كل الوجوه الخشبية الملونة وأحيانًا العنيفة حسب الطلب. وفى الليل يرفرف بجناحيه السمحين على السيرك ليضع مساحيق وجهه بنفسه لنفسه.. والآن يعلن المذيع الداخلي عن ظهوره. يتفنن المهرج من تحت كل وجوهه الملونة فى تقديم فقرة ضحك مسخرة لجمهور المواطنين العريض. مكاني الدائم محجوز لأشاهد المهرج وأنا أضحك من كل قلبي، وأصفق بيدي وقدمي مثل كل يوم. انتهي العرض وعدنا مع حاضرنا وذكرياتنا يسبقنا

ظل جدي، بوجوهنا الحقيقية القديمة وبدون كلمة واحدة سيرًا على الأقدام كما جئنا سيرًا على الأقدام.

قفاز

الكاتب/ة: رانيا عبد الكريم عبد الله الشوكاني/ اليمن

كفٌ أسود

من يشتري كفُ عامل نظافة.. كفٌ بثمنٍ زهيد تحاكي طابع العالم الثالث... اشتروا آخر سلعة لليوم ..... آخر سلعة لليوم.

هكذا أخذ البائع يروج لقطعته الأخيرة رافعًا يده حين صادفته في زقاقٍ فرعي أثناء توجهي إلى عملي في فندق كبار الشخصيات.

كنت لأتلفظ ببضع شتائم لعنصريته، لولا أن لمحت تناغم بشرته مع القطعة التي يبيعها وكأنها أحد أطرافه. وقفت أتطلع إليها لبرهة. شدني عمقها الذي لا يمكن تفسيره. فكرت، لا يوجد مكانٌ أنسب لها من مكتبي. "مكتب الاستقبال". اشتريتها ووضعتها عليه. انزعج منها الأغلب، منهم من أثارت ريبتهم، وآخرون استفزازهم.. أرعبتهم براعة النحات في إظهار الجرح الذي يتوسطها، وقطرات الدم التي تنسل كشلال صغير، لتبدو وكأنها لا زالت تتدفق بالحياة وقطعت للتو. أما أنا ومعظم العاملين وددنا لو نعلقها كالثريا وسط القاعة، بدت تشبهنا بطريقة ما وتعبر عنا، حتى أننا شعرنا أنها تربت علينا من حين لآخر، عندما أثقلت المهام كاهلنا.

أخبرتني الكف بأنها لعامل نظافة من البلد السعيد. لم تخبرني فعليًا لأن لا فم لها لكنها أوحت لي بأن صاحبها كان يعمل في نوبة ليلية. ولما كان عمله يفتقر لأدنى أدوات الحماية، اضطر لمواصلة عمله دون قفازات، مما أدى لجرح عميق كاد يقسم كفه. ظل العامل ينتظر لساعاتٍ في الطوارئ، وكلما اقترب دوره، شعر بأنه أكثر شفافية حتى كاد يتلاشى. ولما بدا أنه لن يبرح ذيل طابور المرضى الآخذ بالتمدد. جر جسده النحيل، واكتفى برش البن على جرحه وهي إحدى طرق الإسعافات الأولية التقليدية في بلده. ولأنه يعاني من "السكري"، تفاقمت حالته الصحية، وتوفي من مضاعفات عملية بتر، لنقص الأدوية والمتابعة الجراحية. أقيمت تظاهراتٍ بسبب نشر أحد الصحفيين خبره، وعندما سئل الطاقم الطبي عن سبب إهمالهم، عللوا الأمر بأنهم لم يلاحظوه، وظنوه أحد الأعمدة الخارجة عن الخدمة. ووصل الحال بالبعض أن خيل إليهم أنه أحد المقاعد الجلدية.

ما هي إلا شهور حتى تحولت الكف إلى رمزٍ للمطالبة بحقوق العاملين في ذلك البلد. ولما لم يتغير في الأمر شيء، سكن الرأي العام وانشغلوا

بقضايا بدت لهم أكثر جدية. لكن الأمر لم ينتهي هنا، وانتشرت لاحقًا شائعات عن إصابة الطاقم الطبي، ومشرفي النظافة بهلوسات جماعية عن كفٍ تطاردهم. كما سجلت بعض الحوادث المريبة التي جعلتهم يصطفون أمام عتبات الرقاة علهم يتخلصون من لعنتها. وتحولت الكف إلى شبحٍ يطارد المتسلطين في يقظتهم وأحلامهم. ظلت الكفُ لأسابيع على المنضدة، حتى مر مدير الفندق، وأمر بالتخلص منها. وعندما قابلته بالرفض، أخذه كبريائه أمام الحاضرين وحولها إلى أشلاء.

لم تكد تمر ثوانٍ حتى علا صراخ النزلاء، وترددت طَرَقات عالية من جدران الفندق، تبعثر زجاج النوافذ، ورن جرس الإنذار. جميع النزلاء يتدافعون، يدوسون بعضهم بعضًا، شعرت بكفي تكبر وتتضخم، ثم تتعملق، وبدا منها جرحٌ عميقٌ كوادٍ سحيق. وكثقبٍ أسود ابتلع المدير، وعشرات النسخ منه. قهقهت عاليًا بينما وقف عدد من العاملين يرقبون عشرات ربطات العنق التي تطايرت كأوراق الخريف، في أرجاء القاعة.

أجفلني صوت البائع بسؤاله إن كنت أنوي شرائها، وأعادني من خيالاتٍ تجاوزت حدود الولاية التي أقيم فيها منذ غادرت بلدي الأم. أكدت له ذلك مع ابتسامة شيطانية لا أدري من أين نبعت حينما تذكرت مديري وهو يُبتَلَع. وأجزم أن شيطانًا صغيرًا استيقظ داخلي. دفعت ثمنها نقدًا، ولولا أن المنحوتة لازالت في يدي، لأقسمت أن البائع ابتسم لي ولوح ببدٍ وحيدة وتلاشى أثناء خروجي من الزقاق.

نداء رقم أربعة

الكاتب/ة: أحمد الحاج جاسم العبيدي/ العراق

الليل يخيم على كل تفاصيل القرية؛ واديها، سفحها، بئرها العتيق القابع بجانب التل العالي وكأنه يلوذ به خشية الاندثار. زخات المطر كانت شديدة ولفترات متقطعة مصحوبة برعد وبرق. الأشجار بدأت تصارع بقوة أمام موجات العاصفة بينما مصابيح الإنارة خذلت الساكنين من أول زخة مطر، وعلى الرغم من أن هذه الأجواء معتادة في نهاية فصل الربيع، إلّا أنها أخافت أطفاله الذين لجأوا إلى حضنه طلباً للدفئ والأمان. الطرق أصبحت موحلة، لا خروج ولا سمر ولا مناجاة ولا تبادل زيارات هذه الليلة التي من المفترض أن تكون ساخنة، فهي آخر ليلة ينتظر انبلاجها عيد الأضحى. فضل النوم في حجرة الجلوس أما بقية الإخوة الذين قدموا من النواحي القريبة فقد فضلوا الديوان صحبة الأب الشيخ القادم من المدينة بعباءته الجوخ، وهندامه الوقور، وذاكرته المتقدة، وموسوعته التاريخية التي يندر وجودها في زمانهم، حكاياته المعبرة تجبر الجميع على الإنصات إليه وهو يتحفها بحسن الكلام، وجمال الأسلوب وكأنك تجلس أمام شهرزاد وهي تقص عليك نبأ حكايتها الرابعة بعد الألف.

– ما الذي تنشده من حياتك؟

– قلم منفي أدون فيه أحلامي بعيداً عن عينَي الرقيب.

- ما الذي ترغب فيه الآن؟
- كتاب يتحدث عن رحلة ابن فضلان وابن ماجد.
- ما الذي تحلم به مستقبلاً؟
- خيمة صغيرة خارج حدود الأقمار الصناعية، لم تلوثها قدمي لورنس والمس بيل، ولا تحلق في سمائها درون.

شعر بأضواء تتراقص من خلف النوافذ وجلبة خفيفة مع اقتراب الفجر، فجأة ضربة قوية على الباب وأقدام رجل استطاع أن يتبين أنه شرطي من خلال لون بنطاله الكاكي الداكن وبندقيته المعلقة على كتفه، خفف الروع على زوجته فربت على كتفها وقال: "لا تخافي إنه شرطي"، نهض من مكانه بثوب النوم ليقتاده الشرطي الشاب إلى الفناء الخارجي، فهاله المنظر أول الأمر، جموع من الرجال تتنقل على غير هدى في كل اتجاه، قسم منهم يرتدي ملابس مدنية ويعلقون البنادق على أكتافهم والقسم الآخر يرتدي بزة عسكرية خاصة بالجيش، والبقية بملابس الشرطة، كان قسم منهم يشتم ويلعن بعنجهية وكلمات متعجرفة، لم يكن قد التقى بأحد منهم من قبل ولكن سمعتهم المشوشة والتي تجري على طرف كل لسان قد سبقتهم إليه، صال عليهم بنظراته التي خبرها ليستقرأ نظراتهم المتعجرفة وساديتهم العميقة.

كان ضابط الشرطة يرتدي بزته المهندمة ويضع رتبته العسكرية على كتفيه على الرغم من أنه ترك الجيش والتحق بسلك الشرطة منذ دخول المحررين. كان آخر واحد من بين الجميع يصعد إلى ظهر مركبة الحمل بجانب الحرس الواقف على الرشاش، الجميع مودعون بالسيارات العسكرية باستثناء

كبيرهم، الأب الشيخ لديه مرثون بين همرات المارينز وضابط الجيش ومنتسبي الشرطة ولا أحد يعطيه جواب، من؟ وكيف؟ ولماذا؟

- أحد عشر أحد عشر، أنزلو جميع المعتقلين إلى داخل المركبات وقيدوهم بالسلاسل.
- عشرة عشرة، مركبات الجيش في المقدمة وبعدها الشرطة ومن ثم المارينز.
- أحد عشر أحد عشر، عبئوا البنادق وصوبوا إلى اليمين واليسار أطلقوا على كل شاردة وواردة.
- عشرة عشرة، حذار من الكمائن.
- أحد عشر أحد عشر، أطلقوا النار على كل كائن يتحرك على جانبي الطريق حتى ولو كانت أرنباً في جحرها أو عصفورةً تنشد الطعام لأفراخها أو صرصاراً قد ضل طريق عودته في الفضاء.

بموجب هذا النداء تحركت مركبته في المقدمة، تقدم اليهِ جندي يحمل سلسلة مزودة بحلقات ليكبل يديه، ثم لمح أحد ضباط المارينز يعبر باتجاهه، تبادل الحديث معه بلغة يفهمها، هز رأسه الأخير بالموافقة وذهب ليصعد في سيارته الهمر.

- أحد عشر أحد عشر، هل تسمعوني؟
- نعم نسمعك.
- نريد المعتقلين لنحقق معهم.
- عشرة عشرة، وماذا تنشدون منهم؟

- سنعذبهم ونجبرهم على الاعتراف بكل الجرائم التي ارتكبوها منذ زمن الطوفان وحتى الآن.
- عشرة عشرة، كيف؟
- سنسلخ جلودهم ونعلقهم على المشانق عراة، ونجلدهم بالخيزران المرطب بالماء، كما سنصعقهم بالكهرباء.
- عشرة عشرة، المتهم بريء حتى تثبت إدانته.
- أحد عشر، بل هم من ساعد قورش على تدمير بابل، وهم من أرشد سابور على النفق المؤدي لمملكة الحضر، كما أنهم من فتحوا بوابة بغداد لجيش هولاكو، وهم من سلَّم مفاتيح غرناطة لفرديناند وإيزابيلا.
- بل هم من تاجروا بالعبيد واستعبدوهم اكثر من خمسة قرون.
- وهم من ساعد الإفرنج على قتل مليون شخص عند احتلال بيت المقدس، وهم من ساعد نابليون على غزو مصر.
- وهم من ساعد مدام كوري على فلق الذرة، وهم من أشاروا على الفريد بيرنهارد نوبل بصناعة الديناميت.
- وهم من دمر هيروشيما وناكازاكي بفعلتهم الشنيعة.
- وهم من أشعل الحربين الكونيتين بين البشر.
- وهم من شغل العالم بالحرب الباردة وهم من وضع برنامج حرب النجوم.

اقترب آمر الفوج منه فأشار إلى سائق المركبة بأن ينزله تحت في المقعد الخلفي وعندما تحرك الرتل سمع مناداة أحد الضباط يطلب بالتجمع في الشارع المجانب للقرية، وبعد استعراض العجلات التي تحمل المعتقلين الخمسة تأخر الجمع في الانطلاق بعد حضور مختار القرية وبعد مداولات مدة نصف ساعة تم إطلاق سراح اثنين منهم أحدهما قد ادخره لربط بيته الجديد بالكهرباء الوطنية، والثاني لعمل أبواب البيت الخارجية من الحديد في ورشته الخاصة، سمع مناداة أخرى: "اربعة أربعة، تحركوا"

سأله الكابتن:

- لماذا تفضلون البقاء في معتقلنا على معتقل أبناء جلدتكم؟
- لأنهم أسوأ من الصالحين.
- ولماذا لا يأتي الصالحون للعمل معنا؟
- تعرف السبب.
- ولكننا نريد استباب الأمن في هذا البلد.
- وإن تحقق؟
- سنغادر فوراً إلى بلداننا.

وقف الرجال الثلاثة في الممر المفضي من جهة إلى المعتقل تحت الأرض ومن جهة ثانية غرفة التحقيق، وقد أمرهم السجان بأن يتركوا مسافة لا تقل عن مترين بين كل منهم ويمنع الحديث والإشارة والإماءة، خرج شاب يرتدي نفس الزي الذي يرتديه الضابط الأمريكي ونادى على ألأخ الأكبر لتبدأ معه

مراسيم التحقيق، وبعد مدة وجيزة خرج ليستقبله السجان متجها به إلى نهاية الممر حيث المعتقل تحت الأرض، وحسب ما أخبرهم رئيس عرفاء السجن فالبناية في الأصل كانت مقر فوج مخازن الأسلحة وتحيط بها الأبنية الواسعة ذات السقف الجملي، وقد آلت إليهم بعد تسريح الجيش الوطني بقرار بيضوي بناء على مشورة مراكز القرار والمعاهد القومية للتخطيط الستراتيجي لمئة الف سنة قادمة.

خرج هذه المرة ضابط شرطة محلية بملابسه الزرقاء وأخذ يعاين البقية برفقة المترجم فوقع الاختيار عليه، تم اقتياده إلى غرفة التحقيق ليستقبله الضابط الأمريكي الذي أشار عليه بالجلوس على كرسي قبالته بينما أخذ الاثنان مكانهما بجانب المحقق الرئيسي بحيث جلس المترجم في الوسط.

– أنا الكابتن بوك، أعمل في وكالة الاستخبارات المركزية المرافقة لمشاة البحرية الأمريكية.

سأله المحقق:

- Whats your first, second, third, and nickname?

– يسألك الكابتن عن اسمك الأول. (قال المترجم)

– سَجِّل: اسمي مصادر منذ ولادتي.

– واسمك الثاني؟

– واسم أبي لم تَصْفَرَّ له صريفة ولا اسود له جدار منذ أن أبصرت عيناه النور.

– اسمك الثالث؟

– جدي مات وهو يحلم بغد مشرق.

– ولقبك؟

– لقبي تاه بين القبائل بعد أن هجرتني زبيد وأحلافها.

- Whats your job?

– ما هي مهنتك؟ (المترجم)

– مضطهد بفكر أحمله في أم رأسي.

in the past, - What do yo want from your life present, and future?

– عن ماذا كنت تنشد في زمنك الذي مضى، حاضرك ومستقبلك؟

– على رقم طيني من مكتبة آشور بانيبال محفور فيه تهويدة لطفل ماتت أمه بسهم طائش.

– موجز لسيرتك الذاتية؟

– معتقل بتوفير لقمة العيش لأبي الشيخ وأمي الحزينة.

– وهل لديك أصدقاء مقربون؟

– مازالوا يرقدون على فراش من قش بانتظار انبلاج صبح أثيري معبق برائحة البيبون.

– من يفتقدك؟

– أطفالي الذين ينتظرون عودتي على قارعة الطريق.

– لمن تكتب رسائلك؟

– لحبيبتي التي هجرتها خلف أسوار عرش بلقيس.

– بماذا تحلم؟

– نومة على وسادة لعشر دقائق بلا مداهمة من عسس المحتل أو درك السلطان.

أشار عليه الكابتن بأن يبصم على إفادته وطلب منه المغادرة معتذراً منه عن الوقت الذي أخذوه منه وعن تعرضه للاستجواب بهذه الصورة وهذا المكان. استقر تحت الأرض حسب تعليمات السجان، كان السرداب كبيراً يحتوي على حجرة كبيرة وثلاث غرف الأولى كانت تستخدم كمكتب وصالة استقبال، وغرفة إلى اليمين بنفس الحجم كانت تستخدم للآمر وتقابلها غرفة أخرى كانت تستخدم كمركز للعمليات أثناء الحروب.

بعد أن تأكدوا من عدم وجود أي تلصص ألكتروني أو مخابراتي بينهم، خاطبهم الأخ الأكبر:

– هل نفيتم كل الأسئلة التي وجهت إليكم؟

– بالتأكيد. (أجابه الكل باستثناء أحدهم)

– وأنت، بماذا أجبت؟

– لقد أخبرتهم الحقيقة.

– ولكنهم محتلون وجائز الكذب عليهم.

– الغاية لا تبرر الوسيلة.

– كف عن سفسطائيتك وأخبرنا ما الذي أجبت؟

كانت وجبة الغداء دسمة جداً ومنوعة وشهية حتى علق أحد المعتقلين: "نحن هنا منذ أسبوع ولم نذق مثل هذا الطعام"، وأضاف آخر: "إذا استمر هذا طعام بهذه الكمية وهذه اللذة فانا سأعترف بأني قد فجرت برج إيفل ونسفت نصب الحرية وأسقطت مكوك الفضاء بعبوة لاصقة"، وتسائل آخر: "هل نحن في فندق خمس نجوم؟".

اقترب السجان من الأخ الثاني مبتسماً: "لقد أشاد بك الكابتن وأصرَّ على أن نجهزكم بالطعام من بهو الضباط وأن نوفر لكم كل ما تحتاجونه بما فيها الطعام والشراب وحرية الحركة داخل المعتقل".

وقف الكابتن بوك أمامه وأخبره بأنهُ في الأصل مهندس مدني ولضمان حصوله على وظيفة فقط تطوع في الجيش ونُسَّب إلى صنف الاستخبارات العسكرية وأنه قد أكمل الخدمة الموجبة خارج الوطن وبانتظار قرار استدعائه.

– كيف أجدت اللغة بهذه السلاسة؟

– من قراءة الكتب وصفحات الويب ومتابعة المسلسلات الأجنبية.

– ولكنك تتكلم بلهجة سليمة.

– قرأت كتب أكونر وجون لاينز وبلومفيلد وجومسكي.

– وكيف تعرفت على ألأخير؟

– القراءة توأم الفكر. وأنت هل تعرفه؟

– نعم. لقد حضر إلى جامعتنا مرة وألقى محاضرة عن تطور اللغة عبر العصور وتأثيرها في الثقافة.

– وهل أعجبتك مقاربته؟

– كنت أتبادل القبل مع صديقتي فحضرت متأخراً ولم أتمكن من دخول القاعة فحظيت فقط بالإعلان.

كان المترجم سعيداً نوعاً ما بمعرفته لشخص اعتبره زميل له في هذه المنطقة النائية وإن قطع عليه صفقته المربحة مع ضابط الشرطة بإرسالهم إلى سجنه بمجرد التلاعب بعملية الترجمة، سأله الكابتن:

– لماذا لا تعمل معنا؟

– أكره العسكرية.

– ولكن مرتبها مغري!

– لا أستطيع العمل مع الفاتحين.

– ولكننا محررين لا فاتحين.

– ما هو التوصيف القانوني لوجودكم على هذه الأرض؟

رغم الحالة التي هو فيها لم تغب عنه هواية حب الاستطلاع، فسأل الجندي عن معنى الأرقام التي ترد بجهاز الراديو الملقى بجانبه، "عشرة عشرة قائد الجيش، وأحد عشر ضابط الشرطة، وأربعة أربعة تعني الأمريكان"، ثم معلقاً وهو يقود السيارة وبصوت مرح:

– كانت المعلومات خاطئة وربما وقعنا بإحراج شديد معكم.

- ولكن المتهم ليس من حقه طلب الاعتذار في زماننا.
- أنتم لستم متهمين.
- وما تقول في كل هذه العدة والعدد؟
- المصدر أخطأ في التقدير.
- وكيف خلصت بخطئها؟
- بالفراسة والممارسة، فأنا قد خبرت كل المجرمين والمطلوبين والخارجين عن القانون، وقد تأكدت من عدم وجود أحد منهم بينكم.

في اليوم التالي أخبره الكابتن على أنهم قد اكملوا التحقيق وتبين بأنهم أبرياء وسيطلب من آمر الجيش الإفراج عنهم.

- ولكن أليس القرار بيدكم؟
- كان بأيدينا ولكنه خرج منذ مدة وجيزة.
- ولكنكم مازلتم في السماء وتحكمون قبضتكم على الأرض.
- بل نحن نخطط للمغادرة.
- وتتركون البلد بهذه الحالة من الفوضى وعدم الاستقرار وفقدان الأمن؟
- وردت تعليمات من القيادة المركزية بضرورة تسليم الأوامر للجيش والشرطة المحلية بغية تسليمهم الملف الأمني.

في المساء استدعى الكابتن بوك المسؤول المحلي للوحدة العسكرية وطلب منه معلومات دقيقة عن المعتقلين الجدد كما طلب منه مراقبة سلوكهم داخل المعتقل، وقد ألحَّ عليه في هذه المهمة والتي تكررت لديه في الآونة الأخيرة: "أريدها معلومات دقيقة وموضوعية ومن خارج مصادرنا المعتادة".

– ولماذا تراودك فكرة الاستقالة في هذا الوقت بالذات؟

– أريد أن أعيد إنسانيتي إلى واقعها.

– ولكنك تعلم الحقيقة منذ التحاقك بالجيش.

– لم أكن أتصور أننا بهذه الدرجة من السوء.

أخفض صوت مشغل الموسيقى وطلب كأساً وهو يتجه إلى حيث موقع الرائد شيرك. جلس قبالته وراح يحتسي كأس الويسكي بجرعات متقطعة ويختلس النظر إليه وهو يجلس على كرسي ويرفع قدميه على الكرسي الآخر.

– متى ترسل الشحنة؟

– ولماذا لا نكف عن اضطهاد البشرية؟

– اتصل بي مدير السجن وطلب المزيد من الشحنات ليكتمل العدد لديهم.

– ولكننا نرسل الأبرياء، ونذل من لا يُذَل، ونكرم من لا يستحق.

– لا يوجد بريء في هذا البلد بما فيهم نحن.

– بل نحن الأسوأ.

- ولكنهم يكرهوننا.
- لم يخلق شعب لحد الآن يحب محتليه.
- ويعتدون علينا كلما سنحت لهم الفرصة.
- الدفاع عن النفس حق مشروع.
- ولكننا نحن أيضاً ضحية، بل أشد فنحن نواجه الموت كل ثانية، أما هم فمتى شاءوا.
- لقد سئمتُ من هذه الفوضى الدامية.
- ولكنها فوضى خلاقة.
- بالعنابر الممتلئة بلا ذنب ولا جرم.
- الكل متهم حتى تثبت إدانته.
- بل البريء متهم حتى لو لم تثبت إدانته.
- هل اطلعت على تعليمات شركة الخدمات العسكرية الأخيرة؟

نهض الرائد من مكانه واصطحبه إلى مقره في الممر البعيد من الجهة الثانية للمجمع، تناول مجموعة أوراق من درج مكتبه وسلمها للكابتن بوك وأشَّرَ بسبابته على الفقرة الخامسة، ابتعد عنه الكابتن عدة خطوات وراح يقرأ بصوت مسموع:

"على الجندي المستقيل إعادة كل المبالغ التي استلمها من الشركة منذ التحاقه بالجيش لغاية الاستقالة وبخلافه سيتم مصادرة أمواله المودعة في البنوك وإسقاط الجنسية عنه، و... سيعتبر جوازه لاغٍ ولن يكون بإمكانه طلب اللجوء مرة أخرى

أو الدخول للولايات المتحدة إطلاقاً، و...اللعنة". رمى الأوراق من يده بشدة على مكتب شيرك وصاح بتذمر:

- ولكني متعاقد مع البنتاغون وليس مع شركة الخدمات الاجتماعية لوحدات الجيش الأمريكي العاملة خارج الحدود.
- ومن الذي يؤمن لك مأكلك ومشربك واتصالاتك ومراسلاتك في هذه المنطقة النائية؟

وخرج بتذمر وهو يلعن أباهُ وجده. وفي الطريق قابله مسؤول الوحدة المحلي ليدلي له بما توصل إليه ولكنه أشرَّ له بالسكوت بحركة من يده معلقاً:

"لقد حصلت على المعلومات الكافية وقد تداولت مع الآمر بخصوص الجميع".

جلس في مكتبه وراح ينشد الاسترخاء لمدة وجيزة قبل كتابة التقرير النهائي، تذكر أيام صباه وهو يحلم بأن يكون متسلقا للجبال وكيف ألحَّ على أبيه كي يشتري له العدة وكيف راح يزاول هوايته في المخيم على سفوح جبال تكساس، ثم تذكر سنوات دراسته في الجامعة وصديقته جين وكيف تطوعت للعمل الإنساني والتحقت بمنظمة مختصة بمساعدة الناس أثناء الكوارث الطبيعية.

تناول رسالتها الأخيرة وراح يعيد قراءتها مرة ثانية ثم تفحص صورها، تذكر أنه قد وعدها بأن يلتحق بها في غضون أيام قليلة وأنه يفتقدها منذ سنتين، كما وعدها بأن يشتري لها بيتاً على أحد سفوح جبال الألب، ثم وصية والدها المستشار في البيت

الأبيض التي ما تزال ترن في أذنه: "إذا صادف أن ترتجل قرارين في وقت واحد فلا تختار الأفضل لك، بل الذي يؤمن مستقبلك".

أخرج استمارة من حافظة أوراقه القابعة على مكتبه وتناول قلمه المعتاد وراح في ملء حقولها بعناية، وبعد أن ختمها بالختم الدائري الأحمر، ضغط على زر الجرس ليسلمها للسيرجنت هاهان.

في السابعة صباحاً كانت الطائرة العسكرية تنطلق بهم مع احد عشر معتقلاً باتجاه سجن بوكا، بينما كانت الوحدة ترتعد على وقع خبر انتحار الكابتن بوك بعد أن دون رسالة اعتذار لحبيبته جين.

صخرة سيزيف

الكاتب/ة: عادل الامين

نجى ادم هارون المترجم السوداني الهارب من هولوكوست الجنجويد في دارفور, خريج آداب جامعة الخرطوم فلسفة ولغة المانية من الغرق بعد انقلاب القارب في عرض البحر قرب سواحل أوروبا وسبح الي الجزيرة ..اخرج هاتفه السيار الثريا الذى زوده به صديقه الألماني كان لا يزال يعمل وبطارية الشحن تضمحل باستمرار واتصل الاب القس البروتستانتي السابق و المهندس الالماني بيتر لوثر الذى كان يعمل معهم في شركة الكهرباء في درنة قبل زحف الجرذان علي ليبيا وغادرها مع الجالية الالمانية وتركهم في معسكر الشركة يتدبرو امرهم للعبور الي اوروبا عبر القوارب والروليت المميت ..

- الو الاب لوثر !!

-نعم من المتصل؟

- انا تلميذك برومثيوس خاطف النار

- ادم السوداني ؟؟

- نعم ..نعم

- حياك الله من اين تتصل ؟

- هل تذكر صخرة سيزيف التي اخبرتنا بها؟؟

في الادب والفلسفة اللاتينية ايام جلوسنا مع العائلة الكوكبية في الزمن الجميل ؟ ؟

- نعم ..ما الامر..اين انتم الان ؟

- انا اجلس على هذه الصخرة الان في جزيرة ارخبيل رودس اتمنى ان تحدد الموقع من الان البطارية تنفذ

- انا في طريقي من بون الي ميونخ الي الديار استقل القطار, ساعات واتواصل معك تخبرني ماذا حدث

اطفا التلفون وجلس يحدق في البحر الصاخب وصياح النوارس يصم الاذان..انحسر الموج ثم عاد وتقيأ عائلة اميد السوري ورصهم اله البحر بوسيدون* بعناية فائقة على الساحل اميد الكردي وزوجته الارمنية مريم وبنتاه زينة وايمان وثم هرول يبحث عن باقي الجثث.. حدق فيهم في اسى وتتداعى شريط الذكريات " وجدهم المهندس لوثر في طرابلس هائمين بعد مسيرة خروج طويلة من سوريا عبر السودان الى ليبيا وجاء بهم الي درنة الى معسكر الشركة واميد اصلا مهندس صيانة وزوجته مريم مساعد طبيب الاسنان واسكنهم في بيوت المعسكر" كان اميد الكردي السوري يردد في اذن ادم دائما "لن اعبر الي اوروبا عبر بلاد الاتراك الاوغاد ابدا لذلك جئت الي هنا "

دارت الامواج وجلبت حورية البحر كالبسو ابنها جاكوب بانزا , كانت تحمله كالمادونا*..والقت به عاريا على رمال الساحل مكورا كالجنين في بطن امه ..نظر اليه في اسى ..جاكوب بانزا موطن من توغو في العقد الرابع من عمره جسد غريب يشبه الغوريلا قوى التركيب وقلب مفعم بالطيبة عثر عليه الاب لوثر

في مدينة سبها يعاني الامرين من عنصرية العرب البليدة ويطارده الاطفال في الشوارع. آخذه مع الي الشركة في درنة ودربه على العمل في رصف الأعمدة ومد الأسلاك الكهربائية.. نظر ادم الي ظهره المقوس واثار السياط والتعذيب التي عانى منها عقب الحادثة الشهيرة عندما اختطفه تجار البشر ومارسوا ضده اشكال التعذيب و كل النزعات السفلى في النفس البشرية حتى انقذه الاب لوثر بفدية كبيرة واثر بعدها ان يعمل في المعسكر في المغسلة الاتوماتيكية للملابس وجلب الخضروات واللحوم من الاسواق القريبة ..وظل صديقه اللدود اميد هو غريمه الوحيد في لعبة لي الذراع وكلاهما ذو بنية جسدية قوية وكنا نراهن عليهما بعد الغداء الجماعي في بيت العزاب في المعسكر .. الان يرقد في سلام متكورا كفقمة كبيرة لفظها البحر بقسوة وقد تحرر من حياة عانى منها الكثير وأكيد وأنجبته كالبسو في عالم الاخر الآن , مشبع بطفولة والسلام يبدو انه فقدهما طيلة حياته السابقة ..

استدارت الامواج وعاد الزبد الذى لا يذهب جفاء يحمل جثة اليفة لدى ادم انه لاعب الكرة في فرقة الشركة من مالي كيتا مامدو...كان منظره مؤلم قضمت اسماك القرش ساقه..وبقيت الساق الأخرى بحذائه الرياضي الثمين.. جاء به الأب لوثر ايضا من طرابلس ليلعب في منتخب الشركة , كان عالم كيتا هو كرة القدم ويعلق صور اللاعبين العالميين في غرفته ويتابع المباريات على شاشة التلفاز ويجلس بين الكؤوس والميداليات التي حققها في دوري كرة القدم الليبي.. ويحلم دائما ان يكون لاعب في الدوري الألماني البندس ليقا في فريق مدينة لوثر

بايرن ميونخ والان اضح جثة بلا ساق يسحبه بوسيدون بقسوة الي الساحل ...

ظل يحدق في الجثث المسجاة على الساحل في اسى كانه كابوس مستمر ودرات عجلة الروليت مرة اخرى وجلبت اخر العنقود في الاسرة الكوكبية التي كانت تقيم في معسكر شركة سيمنز في درنة ..فاطمة الإرتيرية الجميلة افروديت * وابنها يوهانس مكور في حضنها وطرحهما الموج الصاخب عن كثب...عندما عاد الاب لوثر من طرابلس يرفل في سعادة شديدة ومعه هذه المرأة الجميلة وابنها اشاع الحبور في الجميع ..وجدها تعمل في مطعم صديقه الليبي امام السفارة الالمانية تعمل نادلة وتعد أيضا الطعام الإيطالي الجيد. اذهل لوثر طبق البيتزا الرائع الذى ذكره بزوجته الايطالية الراحلة نورا منذ امد بعيد, ماتت في ريعان شبابها بالسرطان وترهب لوثر واغرق تقسه في العمل الانساني كمسيحي بروتستانتي ملتزم وهو الآن في العقد السادس..جرت مفاوضات بينه وبين صاحب المطعم ودفع عنها مبلغ كبير وجاء بها الي المعسكر وعرف في الطريق رحلتها الشاقة من ارتريا مع ابنها وزوجها الذى مات في معسكر اللاجئين في مدينة كسلا السودانية عندما تفشى وباء الكوليرا هناك وبقيت وحدها تشق الطريق الي اوروبا عبر صحراء موحشة ووحوش البشر ايضا الذين انتهكوا جسدها مرارا حتى وصلت طرابلس وكان يراودها حلم ان تكون طباخة في فندق معتبر في ايطاليا او عارضة ازياء في باريس فهي تجيد تفصيل الملابس وان توفر لابنها يوهانس حياة كريمة بعيدا عن معسكرات السخرة في مدينة كرن والدكتاتور افورقي..الذي يعيش خارج العصر الليبرالي ..

سرح ادم في ذكريات طيبة والان تحولت الي كوابيس بعد انفتح صندوق بأندورا* في كل ليبيا , كانت الشمس قد شارفت الغروب وكست الاجساد الممددة بحمرة قانية امام عينيه المجهدتين. رن الهاتف مرة اخرى جواره على الصخرة واختطفه في لهفة وهو يحدق في جثة فاطمة التي طالما احبها خفية ..

- نعم الاب لوثر!

- انا الان في البيت امام الكمبيوتر

- حسنا لقد مات الجميع للأسف ولفظهم البحر امامي تباعا ولازال يأتي بالمزيد منهم

- تبا لرب الارباب زيوس* يبدو انه لازال نائم وترك اله البحر بوسيدون يعبث بكم

ادرك ادم ان طبيعة لوثر المرحة لن تدعه في شانه ...اراد ان يزيل منه التوتر ويعيده الي ايام الثرثرة اللاتينية قبل ان يجتاح الجرذان ليبيا في ربيع لا عطر فيه ولا زهر ..

فجاة لمح راس صغير يتحرك.. بين زراعي افروديت." انه يوهانس"..صعق من الدهشة عندما نهض الطفل المذعور من تهافت النوارس وصقور البحر حول جثمان امه. وطفق يذبهم بعيدا عنها ..هب ادم وانتزعه من بين اجنحة النوارس ومناقيرها الحادة وعاد يجلس وقد وضعه في حجره وبكاءه يصم الاذان مع صراخ النوارس وصخب الامواج ...والظلام الذى بدا يلف المكان بعباءته السوداء المرصعة بالنجوم

- ادعو ربك ورب المسيح يسوع ان ينزل لنا مائدة من السماء تسع شخصين

سمع ضحكة عميقة من الطرف الاخر

- ماذا ؟؟

- هناك ناجي ثاني ..يوهانس ..الطفل يوهانس !!

- فليباركم الرب. فليباركم الرب ..لقد حددت الموقع الان..

- مع السلامة نفذت البطارية ولم اعد اسمعك جيدا

- الي اللقاء يا ابني..الي اللقاء

تكور جوار الصخرة وارقد الطفل في حضنه بعد ان سقاه من قارورة الماء التي لازالت معه واعطاه ايضا قطعة شوكولاتة من جيبه المبلل ..واطلاقا للنوم العنان...قد اضحيا موطنين في أطلنطيا الجديدة * او بمعنى ادق جحيم ستان*.. الدولة الخيالية التي يسكنها اربعين مليون لاجئ عبر الكرة الارضية بسبب الجشع الإمبريالي الصهيوني الذى يمارسه شليوك* تاجر البندقية وشقيقاته العاهرت السبعة* في دول العالم الثالث .. كاتب سوداني

صنعاء 20 مايو 2018

دروب شائكة

الكاتب/ة : سوسن خليل

يقولون أنَّ النور رمز الجمال ، كشهاب يزن سماء المدينة مع رغيف خبز وحبات السمسم المنتشرة ،إلا في الرقة حيث كان ذاك النور كفيلاً بإجهاض أحلامنا وجعلنا نخشى أن نشعل شمعةً حتى، أصبح في مدينتنا سلك طريق للعلم أشبه بفراشة تقترب من النار

تفتحت عينا أمجد في بلادٍ أحبها الله فابتلاها وفي مدينة ولادة لا تعرف اليأس والاستسلام فهي كطائر الفينيق تنهض من تحت الرماد كلّ مرة ، مهما طعن بها الزمن ،خرج ابن السابعة عشرة ربيعاً من البيت في تمام الساعة الثالثة فجراً نحو طريقه القريب البعيد حاملاً بيده قلماً أزرقاً وقارورة مياه كانت أمه قد قرأت عليها بعض الآيات هكذا كما تفعل الجدات سابقاً ، تتسارع خطواته مع نبضات قلبه كلما فكّرأنّه إذا تأخّر ستفوته الحافلة فهو يعيش في قرية غافية على أهداب الفرات ويجب عليه الوصول إلى الجسر القديم مشياً على الأقدام ليلتحق بإحدى الحافلات التي ستقلّه إلى الحلم الذي لطاما تسوّله كثيرون من أترابه في هذه المدينة ويُفرض عليه أن يخوض حرباً ليصل ، مضى أمجد باتجاه الحسر وهو يستذكر ما حدث له فجراً عندما طلب من أمه أجرة الطريق للوصول للامتحان والتي بدورها أطبقت عينيها على دمعتين مالحتين وغابت لعشر دقائق حاملة الماء وبعض وريقات المال وتنقل عينيها ما بين وجهه الحنطي

وصورة والده على جدار البيت المتصدّع وهي تمسح على شعره وتقول بلهجتها الريفية وصوتها المرتجف :

- الله معاك يا وليدي

لم تكن الأم تدرك أنَّ المال الذي أعطته لأمجد لا يكفي أجرة الذهاب والعودة ومع ذلك لم تغادر الابتسامة وجهه مانحاً إياه سعادة الشعور بالاهتمام

هزَّ أمجد رأسه ناسفاً كل شيء بذاكرته للتركيز على ما هو مقدم عليه فقط ، وما إن بدأت خيوط الشمس تتسلل من بين أعواد القصب المجاورة للنهر حتى وصل أمجد للجسر ولحسن حظه وصلت الحافلة المكتظة بشموع شبه خافتة أيضاً طال الطريق عليه وهو يسند رأسه على زجاج نافذة الحافلة ومصارعاً النعاس حتى وصل مركزه الامتحاني هناك في ريف مدينة الرقة الشرقي البعيد ، جلس أمجد على مقعده الخشبي في تمام الساعة الثامنة تحاصره في ذاكرته نظرات والدته ونصائح أستاذه عبدالله الذي مرّ بعدة وعكات صحية بسبب الظروف الصعبة التي مر بها في عامه الدراسي ما بين رعشة الشتاء ولهيب الصيف ، إنه القدوة ورسول السلام ولكن أكثر الأمور التي خيمت على تفكيره هو طريق العودة ، حتى قاطع صوت المراقبين تفكيره عندما نادى أحدهم :

- اجلسوا بشكل جيد سوف نقوم بتوزيع الأسئلة

بدأت أصوات دقات القلوب تعلوتزامناً مع توزيع الأوراق ، كتب أمجد ما استطاع تحصيله من ذاكرته وخرج مسرعاً خشية أن ُيترك كالطائر المهاجر مكسور الجناحين خلف السراب ، مشى مئات الأمتار بحثاً عن سيارة تقلّه تلطمه هبات من الحر

فيرشق مياه القارورة على وجهه ، لكنَّ اللهيب الذي كان في قلبه كان أعظم من أن يطفئه الماء ،فوجئ أمجد برؤية أستاذه عبدالله ليتسلل الفرح إلى قلبه ، لوهلة ، اقترب الأستاذ باتجاهه بلهفة واستغراب وهو يردد بلكنته :

أمجد شلون قدمت ، ليش لساتك هين؟!

ليتذكر أمجد أنّه نسي أن يكتب اسمه في ورقة الإجابة خافضاً رأسه وهو يخبر معلّمه أنَّ هذا ما حدث ، لم يفكّر الأستاذ عبدالله ولو للحظة بتوجيه اللوم لأمجد ، وكيف يفعل ذلك وهو الأدرى بحال الطلاب ، مكتفياً باحتضانه والمسح على شعره

- هل تذهبان إلى المدينة ؟

هكذا نادى سائق سيارة يحمل بعض الخضار واللبن وما إن أنهى سؤاله حتى صعد أمجد وأستاذه السيارة تاركين خلفهم تعب يوم كامل وحلم عام ضاع في دروب الحياة الشائكة

صيحة

الكاتب/ة: عبير محمد كيلاني

وصلت إلى مقر عملها مبكرا كعادتها؛ هي مديرة المدرسة الهمامة، استقبلتها العاملة متوجهة معها إلى باب مكتبها، لمحت عيناها من بعيد سيدة تجلس عند ساحة الانتظار ترتدي ملابس سوداء اللون، يغطي وجهها نقاب أسود، تخبرها العاملة أن تلك السيدة تجلس في انتظارها، تحدث نفسها : " ربما تكون ولي أمر، يبدو أنه صباح بدأ مبكرا بالمشكلات، وما المشكلة لقد اعتدت على ذلك الأمر، هي بالطبع أحد أولياء الأمور، واحدة من هؤلاء الذين يبكرون بالحضور قبل الذهاب إلى عملهم، سأستمع الآن إلى شكوى تلك السيدة، ما أحمقه ذلك اليوم الذي يبدأ مبكرا قبل طابور الصباح بتلك المهاترات والشكاوى والتي غالبا ما تكون سخيفة، ربما انهيار نفسية ابنها بعد سماعه خبر إلغاء رحلة المدرسة نظرا لقرارات عليا بسبب سوء الأحوال الجوية، أو ربما الشكوى الحمقاء المعتادة من اضطهاد وتعسف قرارات المدرسة التي تصر على ضرورة حضور الطلاب ورصد الغياب بدقة يوميا، وربما ترغب في تصريح بالخروج لنجلها الذي لم يبدأ يومه الدراسي بعد، وربما شكوى من أحد زملاءه أو معلميه تنمر به والذي يتضح مع فحص المشكلة ثبوت خطأ نجلها ينتهي بها الأمر بالاعتذار نيابة عن ابنها المتنمر المصون، كم مللت تلك الحماقات والسخافات"، يدور في رأسها سيناريوهات عدة حفظتها عن ظهر قلب، لكن ماذا عساها تفعل،

تصيح هنا وهناك، الجميع اعتاد على صيحتها الصباحية تلك، هي عادتها في بداية يومها لتنظيم العمل اليومي، تطلب مشروبها المعتاد قبل أن تدعو السيدة ذات الرداء الأسود لمكتبها والجلوس أمامها لمعرفة شكواها، ترحب بها، تسألها عن حاجتها، تتوجه نظرات تلك السيدة نحوها مثبتة عينيها تجاهها دون كلام، تعاود سؤالها عن حاجتها، تخبرها أنها جاءت من أجلها هي فقط، لقد سمعت كثيرا عن المدرسة وقيادتها لها بحكمة وتميز، تبعث تلك الكلمات بل وتلك النظرات المثبتة نحوها بامعان طوال الوقت في نفسها الحيرة والتعجب، تتوجه إليها بالشكر وتكرر سؤالها عن كيفية مساعدتها في حاجتها، يأتي صوت السيدة خافتا، مخنوقا، ناعما، حنونا، يخلو من أي ضجيج، حتى تنهض السيدة طالبة منها أن تحتضنها، ليعود مشهد اندهاشها مرة أخرى، تقترب منها، تعانقها، ما زال الاندهاش هو ما يسيطر عليها، تكشف لها غطاء وجهها فتنكشف معه صور وذكريات سنوات وسنوات، تتسارع مشاهد العمر المتناسي مع خفقات قلبيهما، تتوقف نبضات عقارب الزمن لثوان معدودات قبل أن تدرك من ترى، هي صديقة الصبا والشباب، هي رفيقة درب مشياه سويا وانقضى، هي شريكة الأحلام، والأوهام، الآلام، والجنون والمجون، رياح الذكريات تبعثر في لحظات أشرعة قارب حياتها، تناديها مرات عديدة بصوت يملأ المكان وكأنها تؤكد لنفسها حقيقة الحلم، لا يمكنها استيعاب الأمر، أهي حقا أمامها بعد كل تلك السنوات من الفراق الاجباري؟! كل منهما تقطن بلد يبعد عن الآخر بعدد أحداث الحياة وخطوبها وهزائمها، تصيح صيحة لم تكن كأي صيحة، يلتف الجميع حولها ليروا ما الأمر، يرون وجه آخر لتلك المديرة لم يروه من قبل، تتبدل ملامح

وجهها، يعلوه هدوء صاخب، نظرات عينيها تسافران، في لحظات تشعر بعودة الروح ودفء السكينة، هما صديقتا العمر، عاشتا أجمل سنوات العمر سويًا، جدفا سويًا قبل أن تغمر قاربهما أمواج الحياة فتعصف بهما كل في طريق، التقتا عيناهما تسافران إلى حيث كانا، تستدعي روح الفتاتين الصغيرتين، الهادئتين، الحالمتين، المجنونتين، يجلسان سويا، يستدعيان ذكرياتهما البعيدة القريبة، تتساقط تجاعيد السنوات عن ملامحهما، ينشرح القلب، ينشرخ، يؤلمه النبض، تنهمر دموعهما بلا توقف، تمضي الساعات سريعا حتى يأتي موعد عودتها للسفر والمغادرة إلى بلدتها البعيدة، يودعان بعضهما البعض، تمضي صديقتها في طريقها للعودة، وتعود هي تصيح من جديد صيحتها المعتادة؛ تواصل العمل.

نعود كل يوم

الكاتب/ة: رنا كمال العسلي

الجثث في كل مكان, ورائحة الموت هي العطر الوحيد الذي يحلق في المكان, ورغيد مختبئ خلف أكوام النفايات لا يستطيع أن يخرج, ملثمون يجولون في المكان مع أسلحتهم, قتلوا الجميع بلا رحمة, الشوارع تصرخ ولا من مجيب, لم يعد يستطيع التنفس, حاول البحث عن قطعة قماش يسكن بها وجع الرائحة, عليه أن يصعد إلى منزله عله يرتاح قليلا, لكن الفوضى أخافته, كيف سيخرج وإن عادوا لتفتيش المنازل ما سيفعله, قرر تحمل الرائحة حتى يصبح المكان آمناً.

يد صغيرة تطبطب على كتفه, تمد يدها وتأخذه بهدوء, يبتسم لأول مرة منذ بداية الحرب على بلده, لقد قسموا المناطق فصارت التفاحة لعائلة فلان, والبرتقالة لعائلة فلان, أما الليمون فأخذه شخص مجهول عنوة وصمت الجميع, والعائلات الفقيرة التي لا حول لها ولا قوة ستعمل لدى تلك العائلات بلا أي اعتراض كي تحميها, خرج من تحت أنقاض النفايات ليجد أن الشوارع نظيفة, فرك عينه غير مصدقٍ, من أنجز هذا العمل بسرعة, وكم نام؟.

شدت اليد الصغيرة على أصابعه كي يكمل, دخل منزله, رائحة طهو أمه في كل مكان, كم شعر بالفرح, بكى بحرقة الشوق, ركض إلى أمه كي يضمها, استيقظ فزعاً.

نظر حوله فوجد بعض الملثمين يعلقون الأوراق على الجدران, حاول النهوض عله يرى تلك الوجوه فدخلت شوكة في خاصرته وصاح من الألم, الأمر الذي جعله في أيد الملثمين وبسرعة

البرق كان خارج النفايات وفي سيارة صغيرة وضعوا الكيس الأسود على رأسه وكبلوه بالحديد.

في غرفة باردة خلعوا الكيس وضربوه كثيراً.

- أرجوكم دعوني وشأني أنا لم أقترف ذنباً
- كنت تتجسس علينا
- أنا لا أعرفكم فكيف أتجسس عليكم
- نحن من نكتب على الجدران كل يوم
- أنا لا أقرأ
- أنت كاذب
- صدقوني أنا لم أقرأ, كل ما في الأمر أني أختبئ كي لا أموت
- جبان وكاذب
- وأنتم ماذا, هل ستحررون الأرض من خلال الكتابة على الجدران
- سنحررها بالكلمة وذلك أفضل من الخوف والنوم في النفايات

آلمه نعته بالجبان, وما كان ليفعل حين هوجم منزله, طلب من زوجته الهرب لكنها لم تستطع اللحاق به, كانت تنعته بالجبان أيضاً, طلبت منه مراراً الدفاع عن شجرة الليمون الوحيدة التي يملكونها لكنه منحها بكل خنوع, كان يخبرها دوماً أن لا ذنب له بوجوده بين يدي أصعب العصابات التي وجدت في البلد, وتجيبه أن السرقة واحدة إن كانت ليمون أو برتقال أو تفاح.

فيطلب منها الصمت وأنها نقرت رأسه بالخرافات التي تعيشها في الحلم فقط فتصرخ به بحزن

- من لا يدافع عن حقه لن يدافع عن بيته وعائلته

وحينها انقطع الكلام بينهما, وانقطعت بها الحياة حين هُوجم منزله وقُتل من فيه وبصعوبة هرب بنفسه قبل أن يلمحه أحد, قتلوا كل من في الحارة, بدأت المساومة على محصول وانتهت بالحارات كاملة, استوطنوا الأماكن كلها وهو وحيد لا يعلم إلى أين بات ينتمي.

ضربه أحدهم ونعته بالغبي:

- استيقظ من افكارك, أتحاول تبرير أفعالك أم الأفكار الغبية التي تعبث بك
- أرجوكم دعوني وشأني أريد أن أعيش
- وكيف ستعيش
- سأهرب من البلد
- وتترك المكان للغرباء كي تصبح بلا وطن
- وما قدمه الوطن لي, حروب لا تنته, قهر وذل, حتى عائلتي قُتلت
- وذنب من هذا
- ذنب الغرباء وليس ذنبي
- ذنبك أيها الجبان المتخاذل

أعادوا ضربه وهو يصرخ حتى دخل زعيمهم وطلب منهم أن يتوقفوا.

تنفس الصعداء حين فكوا وثاقه, تركوه مرهقاً متعباً جائعاً وخرجوا جميعا, نظر حوله في الغرفة التي عرفها حديثاً فوجدها غرفة في منزله, تفوح منها رائحة الدم, وجد يد زوجته مقطوعة, وقف يبحث عن جثتها وجثة ابنه, لم يجد إلا تلك اليد, أين ابنه, هل من المحتمل أن يكون على قيد الحياة.

خرج مسرعاً خلفهم:

- أرجوكم لحظة, ساعدوني
- ماذا تريد
- لم أجد جثة ابني
- ربما أخذوها حية
- ساعدوني
- وأولاد العالم وأهاليهم ممن فقد, ألا تهتم
- أجل أجل, فلأذهب معكم

في البداية كان عليهم أن يمتحنوا ولائه, وضعوا له الكثير من الاختبارات فنجح, تحول إلى شخص آخر, قاموا بتغذية عقله وعلموه حمل السلاح, وصار المقرب من رئيسهم حتى أصبحوا بمأمن فخلعوا تلك الأقنعة التي تغطي وجوههم, صدمه الأمر, كان بعضهم من أصدقائه, والآخر من حارة قريبة يعرفها, وهناك النساء أيضاً, تحولت حياته وأفكاره إلى منحى جديد, صاروا يهجمون ليلاً على أوكارهم, يُقتل من يُقتل ويعود من

يعود, وفي كل مرة يعودون بالكثير من الليمون والبرتقال والتفاح, لكنهم لا يشبعون, وتعاد الكرة, وعادت أفكاره العبثية, ماذا يفعل بنفسه؟, أين ابنه, لم يساعده أحد لاسترجاعه, جلس قرب صديقه وعد ليتحدث إليه بالأمر:

- يا صديقي, ماذا نفعل؟. نحن لا نعيد المكان, ولا نحارب القهر, نحن نسرق فحسب, لم نحمي شخصاً, ولم نساعد مسناً ولا يتيماً. من نحن؟.
- لا أعلم يا صديقي لكن ما أعلمه أن ما نفعله هو الذي يبقينا بآمان

جلس في زاوية وحيداً, ليتهم لم يعلموه ولم يساعدوه, انهم كمرتزقة يعيشون فقط لكنهم لم يحرروا من الأرض شبراً ولا أعادوا له ابنه, هرب ليلاً متسللاً بعد أن خبأ ما استطاع من الليمون والبرتقال والتفاح وابتعد عنهم.

المساحات التي امتدت أمامه شاسعة, خرج من دائرة الأرض ليجد مساحات لا علم له بها, صارت أفكاره أكثر نوراً, نعم الكلمة تساعد فلقد علموه وقرأ الكثير لكن عقله فقط من حلل ما هو صحيح وما هو منطقي عن غيره, وصل مدينة جديدة, استبدل ما في يده بحفنة تراب جيدة, أعاد بناء منزل من طين, رمم نفسه المتعبة, زرع محصوله الجديد, كان يحلم بلقاء ابنه كل يوم, يتأمل عودته سالماً إليه, يسأل عنه في كل مكان, ولم يمت الأمل لديه

سمع ضوضاء في الخارج, أتى جاره مسرعاً إليه

- يا رغيد اهرب فهناك رجال ملثمون يقتربون من مكاننا

- وماذا عن محاصيلنا وبيوتنا
- سنبني غيرها هيا فلننجو بحياتنا
- لن أخرج

خرج إلى الملأ, وصاح بأعلى صوته, لا تهربوا أرجوكم, لن نقضي حياتنا في الهروب, صدقوني لقد عانيت ما عانيت, ما هؤلاء إلا صورة, فلنكن يد واحدة, لن نسمح لهم بالاقتراب, لن نموت, لقد قتلوا عائلتي وضاع ابني فلا تفعلوا مثلي.

صدقوه وحملوا ما استطاعوا من سلاح ووقفوا كمتاريس أمام الغريب القادم, وجههم بطريقته, وبكل ما تعلمه في محنته, وانتصروا أخيراً. وصار قائدهم وحاميهم وملاذهم.

علم أنه في الطريق الصحيح فلقد رفض كذب حمايتهم سابقاً وأنقذ بفكره من استطاع وشعر أنه رجل جديد في هذا العالم المليء بالخيانات.

اليوم يجلس رغيد على كرسي خشبي صغير, حوله أشجار من التفاح والليمون والبرتقال, زرع وربى كل نوع استطاع تربيته, يأتي صغار الحي إلى حقله فيُقبلهم ويعطيهم ما يحبونه من الفاكهة, ينظر إليهم بعين الأب, ويعلم أنه يرى ابنه فيهم, وحين امتد به العمر وصاروا شباباً نادوه ب بابا واعتنوا به كأب وصار عنده أولاد الحي كلهم, حملوا له من البر ما حملوا ومن الحب ما استطاعوا, فالبذرة الجيدة تعطي موسماً من الحياة واليقين الصحيح .

ثلاثة أبواب وباب آخر

الكاتب/ة: صلاح هلال حنفي سالم

مدخل:

أحيانًا، تقلبات الأنفاس كالأعاصير، لا تنتهي.

سيبقى الزمن يحاورها،

ولكنه أحيانًا يجعل ظلًا للأعاصير.

أمٌّ كانت تتنفس بروح أبنائها،

في آخر العمر تُترك جانبًا؛ لتُصبح ظلًا لغيرها، تسكن في ظلمات التيه،

يمتلكها أشخاص لا تعرفهم من قبل.

وهنا،

يقف الابن لا يبرئ إلا زوجته،

مشلول الفكر تحت سلطتها،

تناسى أمه، فأصبحت بلا مأوى.

قُطعت كل أحبال الوريد!

الباب الأول:

بابٌ كبير يفتح على نوافذ كثيرة، وحصيرته متّسعة. يفتح أحضانه للجميع بين جدرانه الدافئة، للغريب والقريب...

يتحاورون، يتبادلون الحكايا.. يرحل عنه الأحبة، ويبقى من تصارعه نفسه الضعيفة وقد نسي الحضن الذي نشأ عليه.

الباب الثاني:

لا يُفتح إلا بإذن حرّاسه، فاسودّت نوافذه، وهجرتها الشمس. أصبحت جدرانه باردة تطرد أنفاسها، وتتناثر الأرواح بين الزوايا. تشعر أن الكل متشابه... يتقاسمون الهموم، ولا أحد يسمع الآخر. هل تواروا مع الزمن؟! من حينٍ لآخر، يزورهم أبناء أو أقارب. لكنّها تبقى دار العجز والقهر.

بعد مشوارٍ طويل من العمر، وصراع بين البقاء أو بيع البيت العتيق، انتصرت زوجة الابن، بينما هو صامتٌ لم ينصف أمه مرة واحدة. رحلوا إلى المدينة، وتركت الأم أنفاس عمرها في البيت القديم...

شعرت بشيءٍ يخلع قلبها وهي ترفع قدميها على عتبة ذلك الباب العتيق. اشتد الصراع بينها وبين زوجة ابنها مرةً أخرى، حين اضطرت إلى السكن معها في الشقة الجديدة. شعرت بأن قدميها ترتعشان في شارع غريب، وصفيرٌ في أذنها اليسرى يزداد... فتسند رأسها عليه، وتهمس:

– على فين يا ابني؟... أختك جات من بلاد برّة؟... ولا رايحين للدكتور؟

صمّت أذناه، ولم يسمع حتى ضجيج الشارع. أودعها بين جدران باردة، واستدار بظهره مسرعًا، بعد أن كتب اسمها في الدفتر وسلّمها ملابسها في كيسٍ بلاستيكي أسود.

قال:

– هل فيه مواعيد زيارة؟

– في أي وقت

يرن الهاتف

يرن...

يرتفع صوتها:

– بفكّرك تشتري لوازم البيت.

صمتت الأم طويلًا... وجدت نفسها بين جدران صامتة، مملوءة بالأوامر، بلا رحمة، ولا كراهية. نوافذ مفتوحة لا تبعث نورًا، وأنفاس غريبة ووجوهٌ متباعدة...

تهمس في جوفها:

– هل لفظتهم بيوتهم كما لفظتني؟! هل سأبقى معهم هنا؟! يا الله!

لا تنام عينها. تخاطب الليل وتحادث النهار، حتى تشابكت خيوطهما، فغلب السواد...

سرقت نفسها من الدار، وتاهت في شوارع المدينة، تبحث عن هواء تحبه.

تجرّ قدميها الواهنتين، فتحتضنها الأرض برفق...

هربت من ظلمةٍ إلى قسوةٍ أشد.

سارت حافية القدمين فوق لهيب الأسفلت، وتراب الحواري...

هل خانتها ذاكرتها؟

هل أصبحت عالة؟

ماذا فعلت بعد هذا العمر؟

تقف أمام البيوت والمطاعم، تخبئ يدها المرتعشة نقودًا داخل (سيالتها)، وتحمل بقايا طعام في كيسٍ أسود أثقل من جسدها. تتكوّر جوار سورٍ متهالك، تتخلله نباتات شوكية.. لا تبالي.

يلتف شعرها الأشيب بالأشواك.. أرحم من آلامها المتغلغلة.

تراقب المارة. تخاف من الرجل الذي يؤنبها دائمًا.

لا يرحمها المارة، منهم من يهرب، ومنهم من يلهو بهاتفه النقال، يصوّرها... ثم يلوم نفسه.

تحصي نقودها... تضحك بسخرية، وتبعثرها في الهواء، تداعب وجوه المارة...

تُدخل يديها في الكيس الأسود...

تحاورها حيوانات، وثدييات، وحشرات...

تراها تتصارع...

يعرض عقلها شريط أيامها الأخيرة، فيزداد النباح والعواء...

لا تخافهم، بل تعتبرهم ونسها الحقيقي.

أحبتهم، فمثل هؤلاء لا يفكرون في الإيذاء.

ترمي لهم ما تملك من طعام، وتتمتم:

– هذا من عند الله... الكل يأكل ليعيش.

فجأة، يهجم عليها الرجل بصوته الجهوري، ممسكًا (السيالة):

– غيرتِ مكانك ليه؟!

– أرض الله واسعة...

يقترب منه رجل سبعيني، متكئًا على عصاه، قائلاً:

– اتركها وارحمها...

يرد عليه بغضب:

– توكّل على الله يا حاج!

شابٌ ثلاثيني يتخطى ساقيها دون أن يشعر، مشغول بمسح عرقه، هارب من همّه...

حين دارت العيون... التقت الأعين!

وقفت لا ترمش، وتحدثت العيون... بينهما خيطٌ طويل من الزمن...

تتأمل وجهه... تغيرت ملامحه... اشتد الألم في قلبها، فابتلعت دموعها المتحجرة:

– من... من...؟ لا أصدق!

وهو أيضًا لا يصدق...

– أهي؟... نعم... أمي... أمي!!

سأل نفسه: من أنا الآن؟

هل الزلازل أشد؟ أم زلزال النفس؟

تذكّر قول الله:

"ونفسٍ وما سواها فألهمها فجورها وتقواها"

تغيّر لون وجهه...

آه من فجورها وجحودها... الله على الرضا.

لماذا سولت لي نفسي؟ هل تسامحني؟

هل أعود؟ هل أرجع إلى ثلاثين سنة مضت؟

عندما ضرب الزلزال مدينتنا، ولم يهتز بيتنا. كانت تحتضنني... أمشي بجوارها، ممسكًا بجلبابها...

اشتراه مني الجبن بأبخس الأثمان... رضيت بالشقة في الهواء، وخسرت حضن أمي.

الآن... أنا تائه في مدار الحياة...

هل كنت زلزالًا هزّ كيان أسرتي دون أن أشعر؟

زلزالًا أقسى من كل ما نراه عبر شاشات الأخبار من خراب وتشريد؟

نسيت نفسي... نسيت أمي...

ما زالت كلمتها ترن في أذني:

"اوعى تسيب ديل الجلابية.. إنت ضناي الوحيد"

من يمنحني فرصة أخرى؟

لا أحد... إلا هي.

رميت نفسي بين أحضانها...

انقبض قلبها...

نظرت طويلًا...

نفرت منه، واستدارت...

لكن الأشواك اخترقت قلبه...

راجع شريط حياته...

لسان زوجته، سيطرتها، معاركها...

– آه منها... نسيت نفسي... يا أمي...

يحاول أن يجذبها...

استدارت، وقالت بصوتٍ ضعيف:

– استرني... استرني... يا...

انتبه...

– يا الله، أعطها لي عمرًا.

في الجانب الآخر، كان الرجل يفتّش في (السيالة) صارخًا:

– فين الجنيهات؟! راحت فين؟!

أبعده الرجل السبعيني بقوة، رفعها على كتفه، وهرول بها وسط الزحام، مرددًا:

– صورتك انتشرت بكل وسائل التواصل... شاب يسرق عجوزًا متسولة!

أنت الحرامي... أنت...

ركض الشاب خلفه، يصرخ:

– امسكوا الحرامي! ساعدوني! خطف أمي!

– لا تصدقوه... هو... هو الحراااامي...

تجمهر الناس...

منهم من صرخ عليه:

– يا حرامي!

وآخر:

– روح اشتغل!

وهو يصرخ:

– هي أمي! صدقوني!

قال آخر:

– نصدق من... ونكذّب من

؟.

حِبْرُ الدَّخِيلِ

الكاتب/ة: أحمد فاروق عَمُّوري

تراقصَ الغبارُ في شعاعِ ضوءٍ خافتٍ، كأنّه يتلفَّتُ بخوفٍ من وقعِ خُطى غرباء عائدين إلى موطنهم بعد غيابٍ، فقد أَلِفَ الغبارُ عزلتَهُ طويلاً فكادَ لا يُصدِّقُ أنَّ ثمَّة مَن يقتحمُ عالمَهُ الموحِش مُجدَّداً. هكذا بدا المشهدُ حين شهدت المدينةُ عودةَ عائلةِ ريناد التي لم تحتضن طفولةَ الفتاة إلّا ستّ سنواتٍ قبل أن تُسَلِّمَها لعقدٍ

من النفي في مخيّمات اللجوء، وتعصف بها نيرانُ حربٍ نهشت ملامح الألفة.

بدا الحطام أشدَّ وطأةً من أيّ ترحيبٍ مرتجى؛ إذْ تشي المباني المتداعيةُ بتنهيدةِ وطنٍ صار غريباً على أبنائه، وترفعُ الجدرانُ المُثقَّبةُ بأنينِ الحربِ وصدى الخوفِ حكايةً مازالت تئنُّ تحت الرُّكام، وكأنَّ المكانَ نفسهُ يتساءلُ إن كان هؤلاء العائدون ضيوفاً أم أبناءً غرباء.

رغمَ أنَّ والدَ ريناد لم يعرِفْ درباً آخرَ خارجَ هذه المدينةِ على امتدادِ عُقودٍ خَلَتْ، إلَّا أنَّ خُطاهُ الآن تبدو كأنَّها تغرِسُ في التُّرابِ اعتذاراً عمَّا تركهُ وراءهُ حينَ أجبَرَتهم الحربُ على الرَّحيل. كُلُّ خطوةٍ يخطوها تُلقي ظلالاً من حسرةٍ على ذكرياتٍ كان من المُفترَضِ أنْ تولَدَ هُنا؛ لكنَّ الغُربةَ اختطفتها من دون استئذان. تُسايرهُ الأُمُّ بوجهٍ أنهكته المنافي، وعينينِ تائهتَين في حشدٍ من أطيافٍ غارقةٍ في الماضي، كأنَّها لا تُصدِّقُ أنَّ الأرضَ التي غادرتها ذاتَ مساءٍ دامسٍ هيَ نفسها التي تعودُ إليها اليوم غريبةً.

أمّا الصبيُّ، الذي أبصرَ النورَ أوّلَ مرّةٍ في مخيَّمٍ بعيدٍ عن وطنٍ لم يعرفه إلّا اسماً، فتطلُّ نظراته متوجّسةً كلّما لامست قدماه التربة، مدركاً أنّها مسرحٌ لأحلامٍ شُرِّدَت قبل أن يتسنّى له أن يعيش تفاصيلها. خلفه تمضي ريناد بخُطوات مُضطربةٍ، حاضنةً حقيبةً صغيرةً تحوي أقربَ الأشياء إلى قلبها. لقد وُلِدَت هنا، وها هي تعودُ لتجد بيتها مسلوبَ الملامح، تنهشه ندوبُ الحربِ. تحاول كبحَ انفعالها، غير أنَّ عينيها تفضحان خليطاً مركَّباً من الفضول والخوف وحنين إلى طفولةٍ سُرقت، فكانت تتلمَّسُ

حجارة الدروب بنظراتها كأنّها تبحثُ عن ومضةٍ من ماضٍ تلاشى.

وسط الخراب، توقّفت العائلة قُبالةَ بيتهم القديم الذي بدا وكأنَّه يعاني بقايا نبضٍ مُحتضَر؛ ومع ذلك، لا يزال صامداً في هيئةٍ تثيرُ الشفقةَ والإجلالَ معاً. فقبل سنواتٍ فحسب، احتضنت هذه الجدرانُ ضحكاتٍ نقيةً جمعت الأهل حول مائدةٍ بسيطة. هناك، على الحائط الذي نخرتهُ آثارُ الرصاص، خلَّدت ريناد طفولتها عبر لوحاتٍ رسمتْها بألوانٍ بريئةٍ لا تزالُ أشلاءُ ظِلالِها عالقةً كندبةٍ جميلةٍ وسط الدمار. لكنّ رائحة المكان أيقظت بداخلها يقيناً قاسياً بأنها تنتمي إليه مهما شوّهته الحرب. بقايا أوراقٍ ملوّنةٍ وزينةٍ تطلُّ من ثنايا السقف المُتصدِّع تُذكِّر بأعياد ميلادٍ غادرت زمناً عصيّ الاستعادة.

ما إن وطِئت العائلةُ أرضَ البيت حتى شرعوا يبحثون عن أيّ نفحةٍ تُبدِّدُ وحشةَ الاغتراب في أرواحهم؛ شيئاً يستعيدُ صدى ماضيهم لا قيمتَهُ الماديّة. وبين رُكام الأثاث، لمحت ريناد مفكِّرةً جلديةً مهترئة الحواف، يعلوها الغبار وقد طُمِست بعض أسطرها بفعل الرطوبة. بدا واضحاً أنّها تعودُ لشخصٍ غريبٍ احتمى في هذا البيت يوماً؛ إذ لا يحمل غلافُها اسماً أو أي إشارةٍ تدلّ على صاحبها. قلَّبتها بيدٍ مُرتعشةٍ وقد أحسّت أنّها تمسك خيطاً من ذاكرةٍ دخيلةٍ تسلَّلت إلى بيتهم المُنتَهَك دون استئذان. وتلبَّستها مفارقةٌ تُشبه وخزةً موجعة: كيف يغدو حضنٌ آمنٌ لأُسرتها يوماً مجرّد حكايةٍ صاغها دخيلٌ؟ بفضولٍ حَذِرٍ، راحت تقلّب الصفحات، كأنها تخطو عشوائياً صوب بابٍ مواربٍ في ذاكرةٍ لم تتوقَّع أن ترثها:

"اليوم.. اهتزَّت الجدران حولي تحت وطأةِ القصفِ المنهمر على أناسٍ كانوا يوماً أقربَ إليّ ممّا أظنّ. إن كنتُ أرتعدُ خلفَ جدرانٍ لستُ صاحبها، فكيف بحالِ مَن يتلقّى هذا الموتَ في عقر بيته؟ أحملُ بندقيّة قنصٍ صُمِّمَتْ كي لا تُخطِئَ هدفها، لكنّي أخشى ألّا أجد في مرآتي وجه إنسانٍ عرف الحقّ والرحمةَ يوماً. لهذا، كلّما لامسَ الزّنادُ أصابعي، ابتعدَت فوَّهةُ بندقيتي عن صدرٍ ينبض؛ لعلّي بذلك أُنقذ آخر قطرةٍ من ضميري. أُحاولُ الآن كتابة هذه السطور بكفٍّ ترتجف أكثر ممّا تُمسك بالقلم؛ كأنّ الكلمات نفسها تخشى أن تولَدَ في زمنٍ تُقصَفُ فيه المشاعرُ قبل الأبنية."

تسلّل الصبيّ إلى جانبها، يطالع ببصره الحروف ملتزماً صمتاً عُرِفَ به منذُ ولادته، حتى ظنَّ الجميعُ أنَّه أخرس، إلَّا أخته التي أدركت أنَّ اعتصامه الصمتَ ما هو إلّا لغةٌ موازيةٌ نسجَتها آلامٌ في عالمٍ يعجزُ طفلٌ عن إيجاد المفردات المناسبة لوصف مآسيه. تبادلت ريناد معه نظرةً عابرةً وهي تتابع أسطر المفكِّرة، فشعرتْ بأنَّ المسافةَ بينهما تتقلَّص أكثر من أيِّ وقتٍ مضى؛ صمتهُ بدا امتداداً لتساؤلاتها الصامتة، وكِلاهُما عثرَ في كلماتِ ذاك الدخيلِ على بارقةِ جوابٍ لقسوةٍ لم تُفهم بعد. عندئذٍ، أدركت ريناد أنَّ للصمت أحياناً بلاغةً تفوقُ ما يُتيحُه الكلام، وأنَّ الأُخوّة قد تُشيّدُ جسراً بين قلبين أرهقهما الترقُّبُ والخوف. ومع كلِّ كلمةٍ لم تبحْ بما يكفي، ألحَّت سطورُ المفكِّرة على التوغُّل في اعترافاتِ الدخيل أكثر فأكثر:

"يا الله! إنْ انفجرتُ صُراخاً وسط هذا الخراب، فهل من سامعٍ يعي كمّ الانكسار في صوتي؟ أتحصّنُ في جدرانٍ لا أملكُ حقّاً أن أستجدي حمايتَها؛ كيف لي ذلك وأنا أقفُ في صفِّ شرَّدَ أهلها؟ تتقافزُ إلى ذهني صورةُ أمّي وإخوتي تحتُّني على

حمايتهم، لكنّي أصطدمُ بسؤالٍ يكادُ يمزّقني: عن أيّ وطنٍ أدافع وضدَّ مَن، وأنا عالقٌ في عزلةٍ لا تُفرّقُ بيني وبين من هجّرتُهم؟"

رفعت عينيها إلى أخيها مرَّةً أخرى، ثمّ أغمضتهما للحظاتٍ كأنّها تختبر ثقل كلمات الدخيل في نفسها؛ تتساءل إن كان الألم واحداً عند كلِّ الأطراف، وإن كانت الرصاصة لا تستأذن من يضغط على الزّناد ولا من يتلقَّاها. شعرت بوخزةٍ في صدرها: أيُّ سخريةٍ أن تضيق الدموع في عينيها على جنديٍّ كان يحتلُّ بيتها؟ لكن الفضول غلبَها في النهاية، فواصلت تقليبَ الصَّفحات بحذرٍ كأنَّها تخشى ما قد تبوحُ به السطورُ من اعترافاتٍ أعمق. وما إن شارفت المفكِّرةُ على نهايتها حتَّى لاحتْ لها عباراتٌ كُتبت على عجلٍ، كأنَّ صاحبَها أدركَ أنَّها ستكون آخرَ ما يخطُّه. وفي آخر سطورٍ عثرَت عليها في المفكِّرة، قرأت:

"لم تبدُ السّماء يوماً بمثل هذا القدر من القتامة.. شممتُ رائحة الموت مرّاتٍ من قبل، لكنّني أراه الآن يزحف نحوي عارياً من كلِّ رحمة. إنّه باردٌ كليلٍ لا فجرَ له، قاتمٌ كفراغٍ يلتهم ألوانَ الرُّوح. تحضرني صورةُ الطِّفل الكامن في داخلي، ينظر إليّ بعينين معاتبتين؛ يسألني لماذا اخترتُ أن أكون بيدقاً يُسيّره الآخرون بدلاً من مطاردة أحلامه الصَّغيرة؟ الحربُ تلتهم كلَّ ما في نفوسنا من ضوء، وها هي الآن تُشرف على التهام البصيص الأخير المتبقّي داخلي."

أغلقت ريناد المفكِّرة الجلديّة بحذرٍ وكأنّها تودِعُها اعترافاتِها أيضاً، ثم التفتت إلى أخيها الصَّامت بنظرةٍ لم تألفها ملامحُها من قبل. أدركت أنَّ استعادة البيت لا تعني سوى استعادة إنسانيَّتها؛ فما دمَّرته الرصاصاتُ من رسومات طفولتِها، تستطيع أن تعيد

بناءه بإرادتِها في لوحةٍ جديدةٍ بين هذه الأطلال؛ لوحةٍ ترسمُ فيها روحاً لا تنثني أمام سطوة الحرب ولا تُمسي ألعوبةً في صراعٍ لم تختره.

ومضت نحو والديها عازمةً على أن تُحيي دفءَ الحياة في هذه الجدران.. وفي قلبِها.

ليليان

الكاتب/ة: نعيمة القبيط

إنه ذاك الصمت، الشبح الذي يملأ المكان حد الإختناق باللاشيء؛ هل فهمتم هذا الإحساس؟ إنه نفس الذي وصف الله به قلب أم موسى عندما ألقته في اليم، صار قلبها فارغا؛ ليس الفراغ الصحي المريح إنه ذاك الفراغ الذي نصل إليه عندما يفوق الحزن مداه، الموت في الزمكان كأن فؤادك في بعد آخر لا تستشعره وكأنه هناك مع موسى الخاص به.

"قصتي ابتدأت في سن الخامسة والعشرين، على خلاف بنات جيلي، كنت فتاة حالمة ذكية لا يشغلني حب أو حزن؛ دائمة الابتسام والسعي نحو النجاح والتعلم أكثر مهما كان الموضوع غريبا أسعى لفهمه..

ذات ليلة صيفية طرق باب صفحتي الالكترونية شخص غريب، وكعادتي لم أعره اهتماما... مرت أيام بدأ يعلق على منشوراتي بطريقة مميزة كأنه يخاطب ملكة عصرها، مرت الأسابيع وبقي الحال على حاله إلى أن قرر الغريب أن يرسل رسالة استفسار حول أحد المنشورات بطريقة جد مبتكرة وعميقة؛ أجبت بكل تأكيد عن مغزى ما كتبت فشكرني وانسحب بلباقة البدايات.

كثرت أسئلته حتى بت أنتظرها وأجهز الأجوبة قبل أن يطرحها، دام الأمر قرابة شهرين، غدا لي صديق مجهول لا يعرف عني سوى كتاباتي ولا اعرف عنه سوى شغفه بالسؤال، إلّا السؤال عن هويتي وهذا ما لفت انتباهي أكثر.

مرت ثلاث أسابيع اختفى فيها الغريب تماما لم ينبس ببنت شفة، أو بالأحرى لم يراسلني فلم أسمع صوته قط... كثرت أسئلتي بيني وبين ذاتي: "أتراه مات؟"، "أو ربما وجد فجأة الأجوبة لكل أسئلته؟"

لكنه عاد أخيرا بعدها معتذرا عن الغياب كأنه يعلم مسبقا أني انتظرت ذاك اللا أحد، أرسل هذه المرة رسالة صوتية؛ "إنه يقرأ أفكاري بكل تأكيد...". وبدأ يسرد لي سبب غيابه دونما سؤال كأنه يكلم نفسه، لحظة توقف وطلب رقم هاتفي بطريقة غريبة كأنه من واجبي إعطائي إياه ليكمل قصته؛ وأنا في المقابل أرسلته دون تردد، أخده بنهم اتصل ليتمم حديثه دون مقدمات كأنه غير معني إلا به ...

سكت لحظة ثم أردف:

- بالمناسبة اسمي جوزيف.

- وأنا ليليان.

- لو كان لك اسم غيره لاخترت لك هذا الاسم زنبقةُ وادٍ ناعمة سقطت سهواً من فانوس سحري لا يمكن إلا أن تكوني أمنية ملك.

سقط لساني إلى الداخل فصرخ من هذا الصديق الذي خرت له اللغة ساجدة ورفعت حروفي إلى عالمه الموازي، أم ترى الفانوس الذي قصد من هناك، أو ربما هو الملك صاحب الأمنية الضائعة بين العوالم، اصابتني نشوة وشعرت وكأني إحدى بطلات ألف ليلة وليلة.

مرت ساعات على مكالمة غريبة من شخص غريب في توقيت غريب إنه عيد ميلادي؛ لكن الغريب في الأمر أني أحسست أن شيئا ما يحتفل بيوم مولده داخلي، أتذوق طعم الحلوى وألذ المشروبات، إنه الكون المرآة... وهذه المرة الانعكاس داخلي كأنه كون منفرد بذاته؛ استمر حديثنا اللا منقطع أيام، أسابيع وأشهر، حتى بتنا نضحك على ما فكرنا فيه معا دونما النطق به، إنها حالة التماهي كما وصفها "ايمانويل كانط"؛ إني أعيشها الآن مع هذا الغريب الذي يسكنني بشكل غريب كما قالت "جوليا كريستيفا".

ذات يوم قرر أن يضع صورة لهذه الشخصية المرسومة في خيالي من حروف ونبرة صوت.. جاء إلى بلدي لتزداد الشمس سطوعا والورود تفتحاً، لا أعلم كيف لهذا العالم أن يغدوا روضة غناء طوال اليوم كأن السماء مبتسمة، تواطأ الكون معه لم تعد عقارب الساعة تدور عكس الكوكب... إن الطاقة الكونية اجتمعت بكل إيجابية ومحبة لتدفع بي إلى الموعد مع جوزيف، خزانة ملابسي الخشبية كأنها انفتحت من تلقاء نفسها فسقط فستاني المفضل أمامي مشيرا إلى حذائي الأسود وحقيبة يدي بالانضمام إلى هذا الحفل الخفي؛ من أشعل الموسيقى الكلاسيكية التي تطرب أذاني وتنعش قلبي؟ غرفتي ترقص معي على الإيقاع وألوانها أشد بهجة والنوافذ المفتوحة كأنها أعين عاشقة براقة.

انفتح باب غرفتي مشيرا إلى وقت الخروج فلا ساعة في غرفتي تحترم ناموس الزمن، وحده ذاك الباب الحكيم ينبهني كي لا يطول انتظار جوزيف، خرجت من منزلي بعدما ودعتني

الجدران وتمنت لي الستائر حظا سعيدا وابتسمت لي الأبواب بسعادة لم المحها من قبل.

امشي نحو المكان ودفء الشمس يملؤني؛ شعرت بقلبي يهتز في جوفي كزلزال لا رقم يساويه على سلم رختر؛ بقوة صفيحة عائمة نحو قارة جديدة لا يكفيها الا هملايا أو ربما "إراتوسثينس"، يدفعني نحو الموعد مع الموعود؛ تذكرت أغنية عربية قديمة حينها فبدأت أدندن "اسبقني يا قلبي اسبقن للجنة الحلوة اسبقني"، وصلت متأخرة كعادتي رغم أنف قلبي، فالصفائح هكذا دائما تتحرك ببطء وقوة، دخلت المكان فلم ترى عيني من بين الموجودين إلا جبل حسن وهيبة... وقف بشموخ حال وصولي يلقي علي التحية بكل ملامحه ويصرخ بلغة جسده بأعلى صوت آن لنا أن نلتقي، يرقص قلبي فرحا عند التقاء راحتينا كطفل في صدري ودون مبالاة راح يلعب، بما إنه طفل لم يتجاوز بضعة أشهر بتوقيت الحب فلندعه يلعب؛ لم يتسنى له الوقت قبل اليوم أن يمارس حقه في العب.

ليليان سبق أن التقينا بكل تأكيد ربما في عالم الأرواح، أنا أعرفك جيدا كأنك توأمي هناك.. بالمناسبة لا صدر يسع سعادتي بك مولاتي.. (قالها جوزيف وهو ينحني أمامي حتى اشعرني بأني ملكة وهو أحد رعاياي).

ربما التقينا. هل تؤمن بهذه النظرية؟

ابتسم أمامي رجل في منتصف الثلاثين طويل القامة ذو جسم رياضي، شعره اسود ولحية كثيفة ليلية يطل منها قمر أحمر صغير تسكنه نجمات كأنهن اللؤلؤ المرصوص؛ شمسان نائمتان بعد مغرب يوم صيفي هما عيناه...

وأضاف بعد برهة: "كل ما أومن به هو أني أكثر الرجال حظا على هذا الكوكب".

ابتسمت له وشعرت بأن الوقت يمرق بسرعة الضوء أو ربما أسرع، فقد اختلط علي الزمن حتى ما عدت أتذكر كم ثانية أو ساعة دام لقاؤنا..

عدت إلى منزلي على بساط الريح وأنا في قمة الانتشاء، نعم فأنا شهرزاد وقد جاءها شهريار الملك يطلب ودها، ربما لا أتذكر الطريق كل ما أكد لي انه لم يكن حلماً، هو العطر العالق على راحة يدي؛ كم ارغب الآن بشدة بتحنيط هذا العطر كي لا يضيع بعد غسل يدي؛ يا إلاهي لقد صرت مجنونة كأني محمومة أهذي؛ استقبلتني الأشياء في منزلي وقبلها عيون المارة في الشارع بالأسئلة والنظرات الفضولية؛" كيف كان موعدكما الأول؟ هل هو وسيم؟ هل يجيد التعامل مع أنوثتك وكبريائك الغزير؟" هل سيقص لك كل يوم حكاية حتى تنامي؟"، لم أجب أحبب أن اترك الأمر سراً رغم أن لي عينين واشيتين، لكني فضلت التزام جانب الصمت خشية الحسد والعين، فقد صرت فتاة غيبية تؤمن بالحسد ولا تجرؤ على قص مشاعرها خوفا من الآخر لفرط حبها، لا يمكنني أن أتصور قوة شريرة تحرمني لذة هذا الشعور، هل تعلمين يا أسماء أن سقراط عرف الحب بالحمق؟ إنه صادق لطالما كنت فتاة منطقية وها أنا ذي أخاف أن أحسد من النوافذ الفضولية وتلك المرآة المبتسمة، بل حتى من الموسيقى الثرثارة أيضا.

ذات يوم دخلت أمي إلى غرفتي وجدتني غارقة في الكلام مع ذاتي، حسبتني أتدرب على دور ما أو أجسد شخصيات حبريه؛

تكرر الأمر لم تعلم أني كنت في حوار مع جوزيف... طلبت مني مرة أن أرافقها إلى عيادة طبيب العائلة المختص في الصحة النفسية، بعد حوار غريب معه تكرر لعدة جلسات أخبرني أني أعاني من حالة يطلق عليها "الوهم العشقي"، ضحكت مطولاً؛ أخبرت جوزيف بأن الطبيب يرى بأني مريضة واسم مرضي جوزيف؛ ضحكنا معاً لعنا العلم الذي يعتبر السعادة مرضاً، إنه بكل تأكيد صحتي النفسية.

طلبت مني أمي أن أشرب الأدوية التي وصفها لي الطبيب، لم أقبل ولن... ذات صباح دخلت أمي غرفتي حضنتني بكل حب وقوة، بكت وتوسلت أن اشرب الدواء، شربته حبا بانتظام بدأ جوزيف يغضب من الأمر.

- أنت لست مريضة أنا أنت في مكان ما سوف ترتق الأرواح كما كانت قبل الفتق الأكبر، أعدك ليليان. قالها جوزيف بغضب وعتاب.

- كم جميل لو كان المرض أنتِ ما فائدة الدواء؟

أجبته ضاحكة متهكمة على غباء الطبيب وسذاجة أمي.. كتبنا قصيدة معا عنوانها «عندما نكون معا » نكاية في الهوس.

استمريت على تناول الأدوية أمام إلحاح أمي والطبيب، بدأ جوزيف بالتلاشي شيئا فشيئا لقد تحول فضوله وكل أسئلته إلى فتاة أخرى بسيطة لا تستطيع احتلاله كما فعلت؛ قد أخبرني يوما أنه يرى نفسه عار تماما أمامي.

تراه لم يستحمل العراء في شتاء المشاعر هاته التي اجتاحتنا فجأة؟ عكسي أنا تماما، فقد كنت سعيدة باحتلاله ربوعي كأنه

فارسي الأوحد جاء لحماية مدني العتيقة، ماذا حصل لي أنا تلك القوية أبدا قبلت أن يتم استعماري طوعا؟

هل تعلمون بعدما قل حديثنا وعلمت أن اهتمامه انصب نحو امرأة أخرى، أدمنت الذهاب صوب المحطات هناك حيث ينتظر الناس أحبابهم؛ ليس هدفي انتظاره بل أواسي تلك الكراسي هنا، أحس أني تجرعت ما تتذوقه المسكينة دائما؛ فقد صرت ككرسي في محطة، يجلس الأنام بسعادة ينتظرون الغائبين؛ يأتي القريب فيُهجر الكرسي بلا شكر!

عوض الشوق الذي حملته الأكباد على قلبه توضع نفايات الإنتظار تؤنس وحشة الكرسي، كطائر الورد الأحمر وَفيٌ حد الموت "كبيراموس" و"ثيسبي" ورّثَا التوت حمرته وفاءاً؛ كم هي غالية هذه الدماء التي ثمنها الوفاء.

لكن لمن الوفاء؟؟!

ربما غُمر الكرسي أطال عمر الوفاء حتى تيبس قرب المحطة فغدا راحة للمسافرين لكل وجهة إلاّهُ، قالت إحداهن إنها مخلفات حرب قادمة!! فاختلط الزمان بالزمان تذكرت ماضي الكرسي، أو ربما استشرفت مستقبله..

تراه كالعصفور والعاشقين سيخلد دمه في وردة أو توت أو ربما في الطرقات يشعل حربا! يحترق فيها أوفياء الانتظار؛ كراسي المحطات المنسية حتى من كلمة شكرا... هل هم كثيرون؟ هل نحن على موعد مع حرب عالمية؟ أم ترى الحروب القديمة كان هذا سببها الخفي، فالكراسي بلا منابر!.

حان موعد الزيارة الروتينية مع أمي كأني على موعد مع عرض فكاهي لا مع طبيب نفسي، فقصصه جد مضحكة لكن للأمانة خياله واسع؛ قد ضرب كل مشاعري عرض الحائط بل اعتبر جوزيف كائنا من صنع خيالي، لم يسمع المسكين حواراتنا ولا ضحكاتنا... لم يسهر ليلة يتأمل القمرة مثلنا، إنه مجنون، كيف لشخص صافحته شربت ملامحه عن قرب أن يكون خيالا؟

سألني طبيبي:

- هل جوزيف بخير؟ هل لازال حواركما قائما؟

- بخير قل حديثنا لكن لازلنا أصدقاء.

- هل كان صديقك؟

-كان أنا وأصبح صديقي الآن.

- لماذا؟

-إنه خائف مني، يخشى على منطقته الخاصة أو علبته السوداء من غزوي، لا يريد أن يبقى عاريا إلى الأبد أمامي.

- كيف ترين الأمر يا ليليان؟

- غريب جدا كيف لشخص يدعي أنه توأمك الروحي أن يخشى العراء الروحي أمامك؟

- سأفسر لك الأمر يا بنيتي: إنه الدواء بدأ الوهم يقل تدريجيا؛ عقلك ملء الفراغ بحجج منطقية ليفسر سبب غياب جوزيف، لا يمكن للعقل أن يتجاوز إلا ما تمكن من استيعابه؛ عقلك وجد حلا لغياب الوهم الذي أسميته جوزيف...

ثم استدرك:

- إنه الوهم العشقي يا أسماء وهو اضطراب الوهم يمكن علاجه بمضادات الذهان ويصيب غالبا مرضى الفصام.

لكني لا أعاني الفصام كل ما أعاني منه الآن هو غياب جوزيف..

هل يمكن للفراغ أن يفعل فينا كل هذا؟ هل نملأ قلوبنا بفتات البشر فقط لأننا نحتاج من يحبنا كنحن بالطريقة التي نحلم بها؟ يقال أن للحب لغات ألم يتقن أحد لغتي حتى استنجدت بوهم؟؟

هل تعلمين يا أسماء لم يعد أي بشري يثير فضولي! لا أحاديث تمتعني فكم كانت نشوتي الفكرية لا شط لها مع جوزيف؛ يبدوا لي السواد الأعظم من العيون الفضولية التي تحاول معرفتي عن قرب تافهة، بل كل الذين صادفتهم متعثرتا بهم أو ربما حاولوا مرارا نصب فخ الصدفة، لا يفهمون لغة حبي أو ربما لا يعلمون أن للحب لغات بعيدا عن الغريزة الجنسية المشتركة بين كل الكائنات..

لقد أفسد قلبي أو بالأحرى مرضي ضخم تمثلي لرفيق الروح حتى غدا لي قالب كبير لا يستوعب أي كائن خارج الوهم.

الآن أحس أني بدأت رحلة التشافي فقد رجعت إلى الكتابة، ربما الإنسان بطبعه لا شعوريا يبحث عن الحب طمعا في الخلود؛ لقد وجدت لنفسي طريقة أخرى ... هذا ما يدفعنا للكتابة على وجه التحديد، أي الخلود... أو أن نكون من نحب أو ما نحب على وجه الدقة، فقد نريد أن نشبه إحدى الورود، بما أننا في شهر الحب أجمل ما نتحول إليه قد يكون وردة؛ ليست تلك التي تعيش يوما واحدا في زمن الاختيارات المتعددة بل تلك الخالدة، الهدف التي تلغي رغم حدة أشواكها الاختيارات وتغلق أبواب الإحتمالات؛ أو ربما تلك المحنطة بين دفتي كتاب تستعصي على

النسيان رغم تعاقب الفصول؛ "ماذا لو اخترنا داخل نصنا أن نصير تلك المنعصرة حد استخلاص الروح فهذا حال الروح لا يمكن استخلاصها و لا خلاصها إلا بعد تلك الإعتصارات الشبيهة بوجع الكتابة كما الولادة ..".

هل وصلكم وصفي لذلك الفراغ والصمت المتوحش بعد فقداني جوزيف، موسى خاصتي. لم أفقده فقط يقولون أني تشافيت ... ربما لكن كم أحببت تلك الحالة الشعورية والنشوة الفكرية، لدرجة اني اتجاهل الأدوية احيانا وافتح لجوزيف تلك النافذة في جدار اللاوعي ليطل علي بكل بهاءه وذكاءه الرجولي حقا.

الشجرة البشرية

قصة قصيرة من أدب الخيال العلمي

الكاتب/ة: عادل غنيم

لم يتوقع عالم النبات المصري الشهير الدكتور باهر صادق، وهو ينشر هذه القصة العجيبة على صفحاته على وسائل التواصل الاجتماعي، أنها ستحصد آلاف التعليقات وتتحول إلى "ترند" على إحدى المنصات في أقل من ساعة. ولم يتخيل على الإطلاق أن هذا الزائر النباتي المدهش، الذي طل عليه من نافذة مختبره، هو ما سيكمل قصته.

فلنبدأ من البداية، فقصة مشوقة ومذهلة كتبها مسرعًا وبعفوية، وكأنّه يودع بها هذه الحياة ويدعو الآخرين للاستمرار في متابعته في حياته الأخرى.

حدث منذ ثلاث سنوات، بينما كنت – أنا الدكتور باهر – أجلس أمام حاسوبي في غرفة مكتبي ببيتي الواقع على أطراف العاصمة الألمانية برلين، مدينة الابتكار التي أعيش بها بمفردي منذ أن أتيت إليها كطالب دراسات عليا من مصر قبل عشرين عامًا. كنت أراجع آخر أبحاثي عن "شجرة حياة" السلالات البشرية لدراسة تطور الجنس البشري الناتج عن الانحراف الجيني للشمبانزيات قبل ٧ ملايين سنة، والذي أدى إلى ظهور أسلاف البشر، وأفكر في إمكانية إنتاج سلالة بشرية مهجنة مع فصيل حيوي رئيسي آخر، كالنباتات أو الفطريات.

من فرط تركيزي في العمل، كنت أحمل بيمني قدحًا من القهوة، وعيناي مركزتان على شاشة الحاسوب، آخذ رشفة منه وأضعه جانبًا على المنضدة من دون تحريك عيناي عن الشاشة. في إحدى المرات، فلت القدح من بين أصابعي وسقط على زجاج المنضدة فكسره، وتناثرت منه شظايا زجاجية صغيرة خدشت إحداها جانب سبابتي، وانسكبت القهوة مع قطرة من دمي على الزجاج المنكسر.

لم أكترث لذلك، فهذا يمكن أن يحدث في أي موقع عمل. أسرعت لغسل يدي لمعاودة العمل، وقد استشعرت أن هذا وقت إلهام يعرفه كل الباحثين. وما أن جلست مجددًا أمام الحاسوب حتى شعرت بيد "القدر العلمي" تعمل، وبأنني على شفا اكتشاف علمي هام بالصدفة(١).

الدم هو أكبر وسيط حامل لجينات الكائن المنتمي للفصيل الحيواني. ومن ينزف دمه تتناثر جيناته في المكان. وقد اختلط دمي قبل قليل بنبات البن. هل يمكن المزج بين الجينات البشرية

والخلايا النباتية لإنتاج إنسان بصفات "بشرية-نباتية" في خلق معجز للطبيعة في حقب بيولوجية آتية؟! إن عقلية الباحث لا حدود لخيالها، والعالم الذي ينطلق خياله العلمي بلا حدود أثناء بحثه يعرف أنه مدعو لاكتشاف جديد، ولو أزعج كثيرين في البداية.

دمجت موضوع بحثي عن تطور الجنس البشري مع اختلاط جينات الكائنات من الفصائل الرئيسية للحياة (النباتات والحيوانات والفطريات) لتنتج كائنًا بسمات خاصة بجينات فصيلين أو ثلاثة معًا. أغلقت حاسوبي وتوجهت إلى مختبري المنزلي، وسحبت حجم جرام مكعب من دمي ووضعته في أنبوب اختبار. وجلست أمام نافذة المختبر الدائرية أحملق في الأنبوب، ومن خلفه الأفق البعيد، أفكر بعمق في إمكانية تنفيذ ذلك عمليًا.

مع بزوغ ضوء النهار، أخذت عينة دمي – التي تحولت إلى خثرة – وتوجهت بهدوء نحو منطقة "حدائق البستنة" القريبة من منزلي. تنسمت هواء مايو الدافئ بعمق وأنا أجلس على أريكة وسط الخضرة في قلب الحياة النباتية المتأججة من حولي، حتى بدأ العمل في المكان وفُتِحت محلات بيع بذور النباتات بالمنطقة. ومن أحد المحال، اشتريت بذور شجرة الخردل(٢) صغيرة الحجم، والتي تنتج أشجارًا ضخمة عند نجاح زراعتها.

ثم توجهت إلى مختبر جامعة "برلين الحرة"، التي أعمل بها كأستاذ علم النبات، ووضعت البذور في أنبوب الاختبار الذي به دمي وقلبت الخثرة، وتركتها لعدة ساعات. ثم جففتها بجهاز

الروتاڤيبور(٣) وحفظت العينة في كبسولة بلاستيكية شفافة قابلة للتحلل.

بعد ثلاثة أيام، وضعت الكبسولة تحت المجهر الإلكتروني ذي قوة تكبيرية فائقة التي تمكن من رؤية الـ DNA البشري ومكونات الخلية النباتية. ولدهشتي، وجدت حدوث اندماج بين الفصيلتين البشرية والنباتية في كروموسومات واحدة حية. بقي لي أن أزرع البذرة المستحدثة في التربة المناسبة وأراقب النتيجة وأضيفها للبحث. وقد كانت هذه هي البداية المعجزية.

في حديقة منزلي، وتحت نافذة مختبري، وبمعول صغير، حفرت في الأرض الندية بالقرب من جذر بارز لشجرة مقطوعة. ووضعت الكبسولة البذرة، وثبت على الجذر الثابت في الأرض حاملًا عليه كاميرا متصلة بحاسوبي. وللصدف التي تعمل مع الاكتشافات العلمية الكبيرة، هطلت الأمطار بغزارة بعد قليل، وتشبعت التربة بالماء المحيي لأجنة البذور. وهيهات ما حدث لجنين بذرة شجرة الخردل الملقحة بدمي.

على مدار عام، قمت بمراقبة نمو البذرة التي نمت وتبرعمت، وبدأ يظهر منها الشجرة الوليدة المختلطة بدمي، كأنها مختلطة بروحي، فأنا ساكن فيها بالروح. كيف يمكن أن أكون شجرة؟! أو كيف يمكن أن تكون شجرة أنا؟!

مرت ثلاث سنوات نمت فيها الشجرة أكثر، وازداد مجموعها الخضري. وكان خلال هذه السنوات يتعاظم حبي للحياة النباتية بشكل غريب. نمى فرع من الشجرة وكبر حتى لاصقت أوراقه نافذة مختبري. وكانت – مع غروب الشمس – تستكين عليه الطيور وتبيت، وهي ترقبني وأرقبها كل حين في صمت الليل.

في ليلة من ليالي برلين الملهمة، بينما كنت أنظر لأوراق "الشجرة البشرية"، أُخذت بالفكر إلى عالم مختلف تمامًا لأرى وأعايش أحداثًا وقعت منذ ملايين السنين في غابة جرين المحيطة بالمدينة.

فأنا متواجد في أحراش الغابة، وهي وليدة في الماضي السحيق. وصوت النمو العظيم للحياة يصلني من كل برعم فيها، وكذلك أصوات خربشة الحيوانات المتسلقة على سيقان الأشجار التي حولي. وأسمع دبيب الحشرات التي على أفرعها، وأيضًا أسمع صيحات الطيور الواقفة عليها في احتفال بهيج بالحياة المتفجرة مع دفء المناخ.

عدت في لحظة بالذهن إلى مختبري، وقمت بتغذية برنامج للذكاء الاصطناعي بما رأيت قبل قليل، وطلبت تحليلًا علميًا لهذا المشهد. ولدهشتي الشديدة، أمدني البرنامج بمعلومات هامة عن أصل الحياة النباتية التي ظهرت في هذه المنطقة قبل 400 مليون سنة، ثم أدمجها مع حياة البشر الأوائل الذين ارتحلوا من أفريقيا إلى أوروبا منذ 60 ألف سنة. وأضاف في النهاية فقرة عن حياتي الشخصية (في مصر وألمانيا) وأوصاني بعدم الاستمرار في هذه الأبحاث.

كيف فهم برنامج للذكاء الاصطناعي أن بذور هذه الشجرة مختلطة بجينات بشرية تخصني؟! لم أكترث بنصيحة الآلة، فأنا بشري حي بالروح والدم والعقل والإبداع والفن، ومدعو للمعرفة والتمييز والاكتشاف بحرية.

ومنذ ذلك الوقت أصبح بإمكاني التجول عبر الزمن السحيق لتطور الحياة النباتية على الأرض، وصارت جلستي أمام شاشة

حاسوب مختبري ومن خلفها الشجرة الملاصقة لزجاج النافذة تظهر قمة كفاءتي العلمية عندما أمزج أفكاري بالذكاء الاصطناعي وأحلل نتائجها وأدونها في أبحاثي. أنا منك أيتها الشجرة وأنت مني، وكما أنت هنا الآن يمكنني أن أكون معك في الماضي خلال رحلة نمو أسلافك وأسلافي. ألف بحث يمكن أن يُستخرج من هذه المادة الثرية قد تنتج في النهاية نظرية علمية(٤).

وعبر الانتقال خلال العصور الجيولوجية الكامبري والأوردوفيشي والجوراسي وصولًا إلى العصر الجليدي الأخير، مدتني "الشجرة البشرية" بمعلومات جديدة عن تطور الحياة النباتية والبشرية، ومن بينها حدوث اختلاط جيني تلقائي بينهما مما أنتج حاليًا علماء النبات الملهمين والأشجار الحنونة المثمرة لمئات السنين.

إنها رحلة مهولة لتفجر نعمة الوعي النادر جدًا في الكون، ذلك الذي في مستواه المرتفع يخلق الاستنارة لدى الكائن العاقل. ولا وعي مثالي أو استنارة كاملة تموت، فهو يتجسد مرات ومرات في الكائنات المختلفة ويكون هو نفس الوعي لنفس الشخص. إن المزج بين البشر والفصائل المختلفة ينقل وعينا لحقب وحيوات تلك الفصائل الموغلة في القدم، ويمكننا من اكتشاف بيئتها وطريقة تطورها عبر ملايين السنين عندما يحولنا إلى "شجرة بشرية" أو "فطر بشري" أو حتى "ديناصور بشري" ذوي وعي!

انتهت سردية الدكتور باهر المذهلة، بعدها صمت تمامًا عن التغريد. ترك التدريس بالجامعة ولم يعد يرد على تساؤلات طلابه عبر الإنترنت. ولم يره أحد بعد ذلك إلا متجولًا في غابة جرين.

وبعد عدة أشهر، وفي واقعة غريبة، وبعد ساعات من هبوب عاصفة قوية، كُسر خلالها فرع كبير من أفرع الشجرة وهوى بالحديقة، وجدت جثة الدكتور مسترخية على مقعده أمام حاسوبه المختبري. وكان سبب وتوقيت الوفاة هو إصابته بسكتة دماغية مفاجئة لحظة كسر فرع الشجرة بالضبط عندما كان مستغرقًا في إحدى رحلاته الجسورة بالعقل عبر الزمن، متخذًا من "الشجرة البشرية" وسيلة للتجول في تاريخ تطور الحياة النباتية على الأرض بمساعدة برامج الذكاء الاصطناعي. لقد كان عقله متوحدًا بالحياة التي تبددت فجأة من فرع الشجرة.

في حالة استثنائية، دُفن جسد الدكتور باهر في حديقة منزله تحت هذه الشجرة حسب وصيته، وأغلق رجال الشرطة المنزل، إلا أن أحدًا منهم لم يلحظ اتصال التيار الكهربائي بحاسوبه الذي كان يعمل وقت وقوع الحادث وأصبح في "الوضع الخامل".

ظهرت على صفحات الدكتور باهر على الإنترنت بعد ذلك عشرات من المنشورات عن التاريخ الحيوي للأرض، بعثتها برامج الذكاء الاصطناعي بعد أن تعرفت على شخصيته الرقمية، واستمرت في العمل تلقائيًا. وشكك بعض من طلابه في موته وأبلغوا النائب العام، ولكن هذا الأخير لم يستجب لبلاغاتهم، فقد كان لديه مستند يثبت وفاته، وهذا لا يسمح له بتوجيه الشرطة لدخول منزله مرة أخرى.

وكان كل من اقترب من حديقة منزل الدكتور أو دخلها لزيارة قبره، يحن بشكل عجيب لهذه الشجرة المعمرة التي يسكن فيها بالروح، ومن خلال بذورها، التي ستنتج خلفًا مشتركًا لهما في العصر البيولوجي الهولوسيني – الحالي – والذي قد يمتد لآلاف السنين الأخرى.

وفي إحدى تلك المنشورات كُتِب: من دون خلط للجينات بين الفصائل المختلفة ولا تعقيدات علمية، إن كل ما نفعله بالحب ينقل أرواحنا الساكنة في دمائنا إلى الأشياء التي تلمسنا ونتعامل معها وتدمجنا بها للأبد، لأن المادة تتحول ولا تزول. نحن مدعوون بالحب للحياة بالروح في أجساد مادية تتكون وتتشكل تباعًا في استمرارية لا تنتهي، ومدعوون لاستعلان أشخاصنا ملايين المرات في الزمن اللا نهائي، فنحن أحياء في كل مكان على هذا الكوكب في هذا الوجود السرمدي العجيب!

هوامش

(١) حدثت اكتشافات علمية بالصدفة عبر التاريخ العلمي للبشرية مثل: اكتشاف البنسيلين عام 1928 على يد ألكسندر فليمنج، والأشعة السينية عام 1895 على يد فيلهلم كونراد. وهذه النوعية من الاكتشافات تتطلب الاستعداد الذهني العالي للباحث لاستغلال الفرص التي قد تظهر له فجأة أثناء عمله.

(٢) شجرة الخردل: شجرة تتبع الفصيلة الصليبية، تستخدم بذورها – التي تعد أصغر البذور المعروفة للأشجار – في إنتاج توابل الخردل، كما تستخدم في مجال الطب البديل.

(٣) جهاز الروتاڤيبور "Rotavapor": جهاز مختبري يستخدم في فصل وتجفيف المواد الصلبة من الوسط المذيب.

(٤) النظرية العلمية: هي فكرة أخضعت لأقسى التحاليل والاختبارات والتجارب الممكنة ونجحت فيها جميعًا، وهي تمثل أعلى درجة نعرفها من اليقين.

مهما لنا أساءوا

الكاتب/ة: طارق إبراهيم الشناوي

(1) على باب الله

لا أرى أبي إلا في المساء، دائما في المساء، بعد أن أنتهي من أداء واجباتي المنزلية، وقبل أن أنام بقليل. يأتي بملابسه المتسخة، فيجلس بجانبي على أريكة الصالة التي أنام عليها، فيسألني عن أحوالي، وعن دراستي، ويطلب من أمي إعداد الطعام، بينما يهز رأسه، ويشعرني أنه يتابع ما أقصه عليه، ويمنحني ابتسامة راضية، قبل أن يستحم، ويبدل ثيابه، ويأكل، ثم ينام. عندما كنت أسأل أمي عن طبيعة عمل أبي، كانت تقول لي: "على باب الله". كانت فكرتي عن الله، وأنا في العاشرة من عمري، أنه ملكٌ عملاقٌ هائلٌ، يعيش في السماء، وله عرشٌ عظيم، يجلس عليه. يلبس تاجا، ويمسك صولجانا، يشير به للملائكة لينفذوا تعليماته، بدون كلام. ماذا يفعل أبي على باب الله؟ هل يطلب الإذن بالدخول؟ لا أحد يذهب إلى الله إلا الموتى. عندما سألتْ المعلمة صديقي حسام عن والده، قال لها إنه عند ربنا. ساعتها احتضنته المعلمة، وتهامس الأولاد بأن أباه قد مات منذ فترة. لماذا يا أبي تقف على باب الله؟ وهل هذا عمل؟ هل تعمل بوابا للقصر؟ أو ربما حارسه؟ هل يعهد الله إليك بمهام، مثل الملائكة؟ من الواضح أن هذه المهام شاقة، فأنت ترجع كل ليلة منهكا، وملابسك متسخة. هل تأخذ أجرا على ذلك؟ بالتأكيد، ولكن ألا تكلم الله العظيم حتى يزيد لك في الأجر قليلا؟ نريد أشياء كثيرة في البيت، كما أن أمي دائمة الشكوى من أنك تنفق

أكثر دخلك على السجائر، وجلوسك على المقهى مع أصحابك، ولا تعطيها سوى القليل. أعرف أن الله كريم، سأدعوه في صلاتي، وقبل نومي، لكي يزيد لك في أجرتك. عندما سألتني المعلمة، قلت لها إن أبي يعمل على باب الله. لم تحتضنني، ولم يتهامس الأولاد بشيء. يبدو أن الكثيرين يمتهنون هذه المهنة. أحب الله بالتأكيد، وأحب أن أكون موجودا بالقرب منه، ولسوف أكون فخورا إن كلفني بمهمة ما، أي مهمة، إلا أن أكون على بابه. أريد أن أشتري لأمي كل ما تحتاجه، وأن أشتري لنفسي دراجة، وملابس جديدة، وكرة قدم، وربما بعض شطائر الشاورما السورية مع زجاجة مياه غازية مثلجة. في إحدى ليالي الصيف الحارة، وعندما عاد أبي من عمله، لم يكن هناك شيئا ليأكله، وبعد مشادة جديدة مع أمي، عنيفة هذه المرة، لم أميز منها سوى "طالق بالثلاثة"، خرج أبي وهو يصفق الباب بقوة، ولم أره بعدها أبدا.

(2) سلامتها أم حسن

كنت مختلفا عن معظم الأولاد بالشارع، لم أتلفظ بالشتائم البذيئة التي كانت لغة التخاطب العادية بين الأولاد، ولم أكن من أقوياء البنية، وزاد على ذلك أنني كنت من الطلاب المتفوقين في المدرسة، ويا له من ذنب عظيم. في أحد الأفلام القديمة، كان الممثل الشهير يتساءل بطريقته الكوميدية: "لو أصبح الجميع فتوات، فمن الذي سيتلقى الضربات؟" وكنت أنا، حسن، من أتلقى الضربات. في المدرسة، أجلس على أول دكة أمام السبورة الخشبية السوداء، أسمع التعليقات الساخرة التي تأتي من الأولاد الذين يجلسون في الخلف، أتصنع الابتسام، وأعود للتركيز في الدرس، حتى كانت الخطيئة الكبرى، عندما أخفق عمرو كامبا

في الإجابة على سؤال المعلمة، وأجبت أنا. بعد انتهاء اليوم الدراسي، انتظرني كامبا خارج المدرسة، كان يضع يديه في جانبي وسطه، وينظر لي في تحدٍ. فكرتُ في محاولة الهرب جريا، ولكنه لم يكن وحده، كان معه بعض الزملاء الأشاوس المغاوير، وعندما فكرت في دخول المدرسة مرة أخرى والاستنجاد بأي أحد، انقض عليّ كامبا مطوقا بذراعه الضخمة رقبتي النحيلة، وطارحا إياي على الأرض المتربة، وجثم فوق صدري حتى كدت أختنق. طوح بحقيبتي المدرسية لأحد زبانيته، والذي فتحها بعنف وألقى بكل ما فيها على الأرض، ثم بدأ يمزق الكتب والكراسات، أما الباقون، وكمجاملة منهم لزعيمهم، فقد انهالوا عليّ بالركلات واللكمات، ولم يتركونني إلا ملقى على الأرض، ممزق الملابس، محاطا بنظرات الشماتة أو التعاطف الصامت من الأولاد المتفرجين. في اليوم التالي، حضرت أمي إلى المدرسة، بدون أن تخبرني، وهددت الناظر بعمل محضر في قسم الشرطة، إن لم يعاقب هؤلاء الأولاد. قرر الناظر أن يستدعي أولياء أمورهم، كما كلف مدرس التربية الرياضية بتوصيلي كل يوم بعد انتهاء الدراسة، على الأقل حتى الشارع الرئيس. في أحد الأيام التالية، وفي أثناء فترة الاستراحة بين الحصص، وبينما كنت جالسا على أحد المقاعد الحجرية في فناء المدرسة أتناول بعض شطائر الجبن الأبيض التي أعدتها لي أمي، رأيت مجموعة من الأولاد يقتربون مني، يمسكون أيادي بعضهم البعض، ويكونون حلقة دائرية، وجدت نفسي في مركزها، وهم يتقافزون معا في بهجة وسعادة، ويغنون الأغنية الشهيرة في ذلك الوقت: "سلامتها أم حسن". ساعتها، فقط، دمعت عيناي.

(3) الحوض المرصود

هداني تفكيري لمحاولة الانضمام لمجموعة من الأولاد في المدرسة، أو (شلة) كما يطلقون عليها، من أجل الحماية والمؤازرة في مواجهة الشلل الأخرى. فقط، ثمة شرط أو اختبار بسيط للانضمام للمجموعة الجديدة، عليّ أن أثبت لهم أنني قد أصبحت رجلا حتى يقبلوا بي عضوا في الشلة، بأن أقضي ليلة، وحدي، في الحوض المرصود. لم أكن أعرف ما هو هذا الحوض، ولا لماذا هو مرصود، ولا مرصود ممن، وأخذ الزملاء الجدد يشرحون لي التجربة التي يقولون إنهم قد خاضوها جميعا من قبل؛ سأقضي ليلة داخل تابوت رخامي موجود في حديقة الكنيسة القريبة. ساعتها، وساعتها فقط، يمكنهم أن يقبلوني بينهم. حاولت التراجع، وقلت لهم إنه يمكنني أن أدخن معهم السجائر، أو أن أشترك معهم في معارك ضد المجموعات الأخرى، فقالوا لي إن كل هذا سيحدث، ولكن بعد أن أنجح في الاختبار. هددوني، أنني إذا تراجعت الآن، فسيسمونني الطفل الجبان، ابن أمه، وسيلتصق بي هذا اللقب، ولن أستطيع، مهما فعلت بعد ذلك، أن أزيل هذا العار، بل سينضم إلى الخيبات السابقة.

في المساء، انتظرت حتى نامت أمي، أعددت لنفسي بعض الشطائر، وزجاجة ماء، كشاف صغير، وراديو ترانزستور، ثم تسللت ببطء، وأغلقت الباب ورائي، بدون صوت، تقريبا، ولم أنسَ أن أضع المفتاح في جيبي. اتخذت طريقي إلى الكنيسة، وأنا أشعر بحبات العرق الباردة تتكاثف على مؤخرة عنقي، وزاد من توتري، نباح كلاب الشارع باتجاهي. أخيرا، وصلت للمكان المتفق عليه، وبدون كلام، قفز اثنان منهم فوق السور في خفة

ورشاقة، واضح أنها ليست المرة الأولى، ورفعني اثنان آخران لأعلى حتى أمسك بي من هما فوق. جذباني بقوة، وهمس أحدهم في أذني لأقفز. وقبل أن أسمي باسم الله، وجدت من يدفعني لأسقط على الأرض المتربة، وتبعني بقية الأولاد. كانت تماثيل العذراء البيضاء المنتشرة في الحديقة تنير بعضا من ظلام الليل، مع الضوء القادم من نصف قمر. هاهو التابوت، كان أضخم مما توقعت، مرسوم عليه بعض النقوش الفرعونية التي استطعت تمييزها برغم الضوء الخافت. تعاون الأولاد على رفع غطائه الثقيل، بالتأكيد لن أستطيع أن أزحزحه حتى من مكانه. ترددت قليلا ثم فوجئت بمن يحملني بقوة ويلقي بي إلى الداخل، ثم انطبق الغطاء علي، وعرفت ساعتها معنى الظلام الدامس. همس لي أحدهم من الخارج بأنهم سيكونون عندي قبل الشروق، ليفتحوا لي غطاء التابوت، وليعمدونني رجلا. قلت لهم إنني أريد أن أقضي حاجتي، فليفتحوا لي لثوانٍ، وسأرجع لهم مرة أخرى، جاوبتني بعض الضحكات الساخرة، ثم صمت مطبق. مرت لحظات حتى اعتادت عيناي الظلمة، وتسرب بعض الضوء ما بين التابوت وغطائه. تحسستُ المكان زاحفا، ثم تذكرت الكشاف الصغير، كان التابوت من الداخل خاليا من النقوش، حمدا لله، حاولت زحزحة الغطاء، بلا جدوى. فكرت في أن أصرخ طالبا النجدة، ثم تذكرت وصمة العار. تذكرت أمي المسكينة، وأبي، وعمرو كامبا، ومدرس التربية الرياضية وعصاه الرفيعة، وأغنية "سلامتها"، وحاولت أن أتذكر وجوه أصدقائي الجدد، من الرجال الصغار، ففشلت. خلعت حذائي، وصنعت منه وسادة، وقررت أن أنام. تركت الكشاف الصغير مضاء، وقمت بتشغيل الراديو المضبوط على إذاعة القرآن الكريم. ائتنستُ به

قليلا، برغم ضعف الإشارة، حتى اختفت تماما، وسمعت بدلا من القرآن موسيقى صاخبة. هل تنبعث فعلا من هذا الراديو الصغير؟ أحسستُ بالتابوت يهبط لأسفل، لأسفل، حتى توقف فجأة، ثم انفتح التابوت من الجانب، وامتدت عدة أيادي سوداء، محترقة، تحاول أن تمسك بي، زحفت إلى أبعد ركن في التابوت، وتصاعدت الموسيقى الشيطانية، وانبعثت من لا مكان أضواء مبهرة، ملونة، آذت عيني بشدة، قبل أن تمسك بي قوة خارقة، غير مرئية، وتخرجني من فتحة التابوت الجانبية إلى قاعة فسيحة، نصف مظلمة، مضاءة بالمشاعل، ورأيت عددا من الشياطين، أو العفاريت، أو الجن الذي يعيش تحت الأرض ينقضون عليّ، وعمرو كامبا يقف خلفهم مبتسما، وهو يشير لهم باتجاهي. في البداية، تسمرت للحظات، ثم بدأت في التراجع للخلف، وأنا أحاذر حتى من أن تطرف عيني، حتى اصطدم ظهري بجسم معدني، وندت مني صرخة، والتفت، لأجد عددا من الرجال القصار، يرتدون دروعا وخوذاتٍ معدنية، عليها رسومات فرعونية، ويتصدون للشياطين. اختبأت وراءهم، وأخذت أبحث عن مهرب، ولم أجد إلا التابوت، فدخلت فيه، وانغلق الباب ورائي، وعدت إلى الظلمة مرة أخرى، وحاولت أن أرفع الغطاء لأعلى، لأعلى، ولدهشتي، وجدت الغطاء يرتفع، ورأيت السماء السوداء، والنجوم، ونصف القمر، ورأسي قسيسين، باللحى الرمادية، والعمائم السوداء الدائرية، يطلان عليّ من علٍ، وهما يمدان أيديهما لإخراجي.

الخيوط تحترق

الكاتب/ة: هيثم همامون

لم يعثر سالم إلاّ على وظيفة وحيدة أو بالأحرى حرفة ضعيفة جدًّا استنادًا إلى مدخولها الزّهيد المبارك. اتخذها تحت ضغط الضّرورة. الخيّاط صديق الألبسة القديمة والممزّقة، وظيفة تناسب مظهره، وتعاسته، وامكانيّاته الحاليّة الّتي هي امكانيّاتها المحدودة مع الأسف. كما هو الحال في الفن، ليس معرفة وإنّما فهم كما يقولون. والصنعة متاحة لكلّ إنسان، يعيش بها النّاس على امتداد العصور. إنّما ما يحدّد الشخص المحترف في صنعته ليس المجال الّذي يعمل فيه، بل الطّريقة الّتي يعمل بها في مجاله الخاصّ.

ربما كلّنا خرجنا من معطف الصنعة؟ وكنوع من الانضباط النّفسي، يجعل سالم نفسه قادرا على فعل شيء، سواء أحبّه أم لم يحبّذ، فالنّهار ينهش العتمة في الأفق. وبدأ يتفتّح كوردة خجول. يدخل درب الخياطين، ودندنة الحديث تتسلّل خافتة، مكتومة ودافئة. شمّر أذيال جلبابه، ودوّر المفتاح في قفل متجره بعينين خاليّتين من بريق الحياة. كان نور الصّباح يتدلّى خافتًا على

الدّرب، ثم دار على عقبه دورته السريعة يتفحّص المكان. حركات الخيّاطين المجاورين تدلّ على فظاظة وتحجّر أحاسيس، صارمة القسمات. لم يمدّوه ولو بسلام بارد، كأنّها لهجة تحمل كلّ معاني التّهديد والوعيد للخيّاط الشابّ. وهو في ربقة هذا المأزق الّذي سمّاه معتقلًا، بين حرفيّين قضوا السّنين تلو السّنين في تحويل القماش المسطّح إلى ملابس تحتوي على العديد من الثقوب، والانحناءات، والطيّات بطريقة معقّدة، أو تحويل القماش إلى تصميم ناعم خال من التّجاعيد والتّموّجات.

فقد قرّر أبوه فصله عن الدّراسة بعدما عمّر سنينًا طويلة في المدرسة، حتّى أصبح يرتدي جلباب أبيه من الصّوف الأسود. شعيراته البيضاء تقول إنّه شاخ في المدرسة، ولتوقيرها سمّي على إثرها "سالم"، لتصبح الخيّاطة في علبته العود الأخير، والحرفة الّتي ورثها أبًا عن جدّ.

يحكّ دقنه الأملس محدّقا في الفراغ، ثمّ ارتسمت على شفتيه نصف ابتسامة رقيقة. وبما أنه اليوم ربّ العمل، دفع كرسيًّا خشبيًّا بركلة خفيفة يُغلّفها مصير مجهول. والده أقعده المرض، وأصبح المحلّ موجة من العطونة، ممزوجة برائحة الجلابيب والسراويل المنسيّة.

أمّا أبوه فكان يصنع المتعة بأقلّ الأشياء، يبدع السّعادة بأبسط الوسائل، ويرسم البسمة بين زبائنه. من الطبيعي أن يستقبل خيوط الشّمس المتسلّلة عبر نافذة درب الخياطين بفاس على صوت آلات الخيّاطة، تنثر الحياة في المدينة القديمة، تحمل في طياتها أسرار قرون من الزمن. يُفصّل البورشمان بلا ماكينة، يقصّ القماش وفقًا لمقاسات دّقيقة. يستقبل الزّبون بوجه بشّ،

يأخذ المقاس باستخدام المتر، والمسطرة، والمقصّ بنفس طويل، وصبر لا ينفد. يعمل لإرضاء زبائنه. كان أبوه حسن السمعة في المدينة؛ بسبب جودة عمله وتجربته الناضجة. أمّا الآن فأذواق العالم تغيّرت. غزت الملابس التركيّة والصينيّة المستوردة الأسواق، حتّى الموادّ الأوليّة استعصت على الخيّاط. وكما يُقال: أن نقبل شيئا من الخسارة حتّى لا نخسر شيئًا.

تحت ضوء مصباح الورشة، يندفع تفكيره في متاهة خاصة في الأيام الأخيرة لشهر رمضان. تنبض فيه الحياة على آهات آلات البورشمان على بُعد متر ونصف عن المحلّ، لا يسمع خلالها إلاّ بكراتها تدور كدولاب ساقية. تُدير الأسطوانات الأربع سلاسل حديديّة تجرّ خيوط الحرير بين أيدي الخيّاطين المنهمكة على الطّرز والخيّاطة. هذه الذكريات تنسحب هائمة بصرف النظر عن الخوف والأمل، لا تتبعها فترات هدوء وسّكينة إلاّ في النصف المتأخّر من اللّيل بعد انتهاء يوم مُتعِب. صور تحتاج لمتفرّجين مستعدّين لتصديقها، بعدما ابتلعها طوفان رياح الحداثة.

قطعت سيّدة جميلة في عقدها الثّلاثين تفكيره. كان لظلها برودة وصمت، لها عيون سوداء بدائية وحية، نظراتها حازمة، ولا تعطيك في اللّحظة إلاّ معنى واحدًا. تمتمت بوقار، ثم أسرعت تقول:

السلام عليكم...محلّ السيد محجوب؟

أهلًا بك، نعم، محلّ السيد محجوب جاهز لخدمتك

يسعى للحصول على قلب امرأة نضرة كهذه. النّساء الجميلات تقدّرن الألبسة والفساتين والتنّورات، يقدّرن أنواعها، وألوانها

الباردة، وتناسقها العالي، والمنخفض. وطريقة رصّها خلف خزائن الزّجاج، وطيّاتها الرّفيعة. تصاب أيديهنّ، وأجسادهنّ المتناسقة بالفصام والهوس لحظة تجربتها. بعضهنّ يرقصن منتشيّات على إيقاع تناسقها مع أجسامهن، لكن من المؤكّد أنّهنّ لن يلقين أيّ نظرة على السروال التّالف المريض، ولا على الرّجل الّذي سيسعى لترقيعه. صاخبة كانت الحياة في عتبات المحلّ. أمّا الآن فأضحى مقبرة أسطوريّة لتقصير السراويل أو تضييق الأكمام أو إزالة الجيوب والبطانة بثمن زهيد.

رفعت إليه كيسًا. تبيّنه! تركته جامدًا لحظات قبل أن يعود إلى رشده، ومما لا شكّ فيه أنه استيقظ على إحساس طاغ بالعطش، فإذا الماء قد نضب. سلبته عقله، وقال في نفسه: بداية موفقة...بشارة خير ورزق. حاول أن يتابع كلامها وهو منقطع الأنفاس. كانت وهي تفتح الكيس ترمقه في دلال، كاتمة ضحكة عذبة توشك على البوح:

أريد أن تكون جاهزة قبل العيد...ولأذكّرك أنّ اليوم ليلة السابع والعشرين من رمضان...ولا تقل لي أنّك لا تستطيع؟

حسنا، بالطّبع أستطيع...سأحرص على انهائها قبل اليوم المحدّد

وما سعر تفصيلها؟

هرش جلده بشريط القيّاس ثم عقّب:

لأكون صريحًا معك، ثوب جوهرة غالي الثمن، سأكون متعاونًا معك...أربعمئة وخمسون درهما

تهلّل وجهه، وبسمته جمود أملس كالزجاج. يقول في نفسه: سأمضي حتّى النّهاية، حتّى أغرس حوافر سفينتي في هذه الحرفة، وأقتحم المجهول.

لا، كثير... لنتركها أربعمئة

حسنًا

سحب الخيّاط سالم شريط القيّاس من على كتفيه، وطلب منها الدّخول. استدارت ليقيس بين كتفيها. سجّل القيّاسات في مسودّة كانت على الطّاولة الخشبيّة الّتي تتوسّط المحلّ. وبسبب جمالها، تمالك نفسه كي لا تظهر عليه بوادر التشتّت. شحب لونه، ارتجفت أنامله، وتصبّب جبينه عرقًا من التّوتر. وحرصًا على ضبط المقاييس، قرّر أن يعيد تدقيق الأطوال لعلّه قد أخطأ، وفعلًا...زيّادة طفيفة بسنتيمترات قليلة. ابتسم لها يُخفي توتّره، ثمّ رفع يده وقال دون ترتيب لأفكاره:

تمام

شكرا لك، أنا أخت أحد زبونات سي المحجوب

من؟

لالة فاطمة السلاوية

مجّ ريقه بعد أن تعرّف عليها بصعوبة، ثم قال:

نعم طبعًا طبعًا

تحرّج من الموقف...وأخذ ينظر إليها في صمت، فأكمل بعدما استطاع تثبيت نفسه أخيرًا:

حسنا سيدتي سيكون جاهزًا خلال يومين

خرجت السيّدة من المحلّ تاركة هواء مشبعًا بأريج الحبّ. زرعت حدائق الجمال في فتحات نفسه المتشظيّة. أجّل كلّ أعماله، من إصلاح درز ممزّقة، واستبدال زرر مفقودة، وخيّاطة جلابيب زبائن بقيت على رّف خشبي لشهور...جلاّبة مخزنيّة، وأخرى مرّاكشيّة، وثالثة فاسيّة. بالرغم من ضغط رمضان، فقط أبان عن جهد مضن وهو يستبق الوقت لإتمام مهامه قبل الموعد المحدّد، حتّى مساعده شمّع الخيط وهرب قبل أيّام، ليتركه في حيرة من أمره يعمل ليل نهار.

وصل اليوم المحدّد ولم يأت سوى أصحاب السراويل والجلاليب الثلاث. ينتظرون ملابسهم بشوق. كان في موقف لا يحسد عليه. وتبخّرت مخيّلته تمامًا وتراءت له سرابًا يدور في دوّامة عويل الزبائن :

تركتنا حتّى اليوم الأخير قبل العيد وتقول لم أنته منها بعد

كان لزامًا عليك أن تقول لنا مُسبقًا بأنك مشغول لنقصد خياطًا آخر

ماذا سنفعل الآن؟

نطق كبيرهم الّذي علّمهم السحر قائلًا:

لا حلّ إلاّ أن يسهر عليها حتّى يتممها مع صباح العيد

التبس عليه الأمر، وأخذ رأسه يطنطن، يعلو ليغيب وراء سحابة بيضاء وحيدة في السّماء وهو يمطّ شفتيه في ضيق بينما بقيت أنامله معلقة بين الخيوط.